سعيد المحفوظ

من أسقط العالم الإسلامي؟

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾
ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾

(النجم: ٣٩ – ٤٢)

مؤلف الكتاب	**سعيد المحفوظ**
مدير المشروع	**أ. ربيعة المحفوظ**
راجعه لغوياً	**أ. داليا رشوان**
تصميم الغلاف	**أ. أمنة المحكم**

ح سعيد المحفوظ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المحفوظ، سعيد

من أسقط العالم الإسلامي./ سعيد المحفوظ - جدة، ١٤٣١هـ

ص ٢٤٨ ، ١٢,٥ × ١٩,٥سم

ردمك: ٣-١٤٧٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- العالم الإسلامي - تاريخ

٢- العالم الإسلامي - الأحوال السياسية أ العنوان

ديوي ٩٥٣،٠٧٣٩٣ ١٤٣١/٢٦٥٩

رقم الإيداع: ١٤٣١/٢٦٥٩

ردمك: ٣-١٤٧٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

اقرأ في هذا الكتاب؟

فالعلماء والمفكرين

وفقهم الله لكل خير – وهم أول من

يسقطون العالم الإسلامي إذا سقط وينهضون به

إذا نهض - لم يقوموا بدورهم، وقد فصلت ذلك داخل

الكتاب، وأما المفكرين كما يسمونهم صرفوا أنظار المسلمين

عن حقيقة سقوطهم إلى أمور أخرى ينسبونها إلى النهوض

وهي بعيدة كل البعد عنه متعللين بأعذار مثل عدم وجود

سقف للحريات مع العلم أن الصحابة الكرام رضي

الله عنهم إنطلقوا من مكة وكان بها جميع أنواع

الاضطهاد وقمع الحريات.

ص ٢١

صحيح

أن هناك من يقول بأن

السلطة السابقة وبعض الدول التي

اعترفت بإسرائيل لم تجن أي فائدة من هذا

الاعتراف، لكن هذا لا يعني: أن الصلح مع إسرائيل لا

فائدة فيه تمامًا، وإنما قد يشتمل الصلح معها على كثير من

الفوائد إذا حسنت النوايا، وصدق الاتباع لمنهج الحق، وأحب أن

أذكركم فقط بأن الفرق كبير جدًّا بين من يمتثل في الصلح

هدي الرسول عليه الصلاة والسلام، وبين من يمتثل في

الصلح هديًا غير هدي الرسول ﷺ؛ كالذي يبحث عن

مصالحه الشخصية، وإرضاء الغير على حساب

شعبه.

ص ٣١

خذوا

الإعانات، واقترضوا منهم،

ومن غيرهم؛ فإن الرسول عليه

الصلاة والسلام مات ودرعه مرهونة عند

يهودي، وليس صحابيًّا، ولا تنظروا لعرفات

رحمه الله فإن تقبيلكم يختلف عن تقبيله

ومنهجكم يختلف عن منهجه، وفكركم

يختلف عن فكره.

ص ٣٣

و إ ذ ا

كان اليهود أعداءنا بسبب

أنهم احتلوا أرضنا، فهذا الرأي غير صائب،

لأن جميع دول العالم غير العظمى محتلة، وتحكمها

الدول العظمى، وليس باستطاعة دولة ضعيفة - وجميع الدول

الإسلامية للأسف الشديد تعد دولًا ضعيفة - أن تعيش بدون دفع

الإتاوات لدولة كبرى تحميها، من شروط هذه الحماية أن تتحكم هذه

الدولة الكبرى الحامية في قرارات ومصير الدولة الصغيرة المحمية، وهو

الاحتلال بعينه، وهذا هو حال العالم، وها هي أمريكا تهيمن على أكثر دول

الأرض وهيمنتها ليست بالقوة العسكرية بقدر ما هي بالأفكار والإعلام،

وعلى رأس القائمة هوليوود.

واليهود مهيمنون على أمريكا بترشيح رؤسائها وسقوطهم

بالخبث والدهاء.

ومن يحرك ويتلاعب في اليهود؟؟ هل هو

إبليس؟؟

ص ٤١

فالسلفيون

يطالبون الفلسطينيين بطلب العلم

وإصلاح عقائدهم أولًا، ولهم أدلتهم على

ذلك، والإخوان المسلمون يطالبونهم بالمواجهة

والمشاركة في العملية السياسية، ولهم أدلتهم، وأهل

التبليغ يطالبونهم بالخروج معهم والدعوة إلى

الله وبعد ذلك دعوة اليهود، ولهم أدلتهم

أيضًا.

ص ٥٤

وهكذا اجتهد الرسول عليه
الصلاة والسلام وأقام في فترة وجيزة جدًّا
دولة الإسلام بكلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله
ﷺ التي خرجت رجالاً عرفوا الحق، وعرفوا كيف ينتصرون
له، ولم يشغلوا أنفسهم بصادرات الفرس وواردات الروم، وكم عدد
المسلمين في مكة؟ وكم عدد المشركين في العالم؟ وكم عدد المتعاطفين
مع المسلمين؟ وكم عدد جبال الطائف ونخل المدينة؟ وكيف اقتصاد أهل
مكة؟ وما كمية الحبوب التي ينتجها مزارعو مكة؟ وكيف نقوم بعمل بحث
عن العاطلين في مكة والمثقفين وغير المثقفين؟ وكم عدد الصفحات التي
كان يقرؤها عبد الله بن مسعود وكبار الصحابة رضي الله عنهم
يوميًّا من الأمور التي ينشغل بها المسلمون اليوم، ويعدونها
علمهم وعملهم، ومدار بحثهم، وهم لا يجنون منها ثمرة،
ولا يحصلون من ورائها على فائدة... إلى آخر ما
نسمع ونقرأ كل يوم.

ص ٥٦

بل إن المتابع للأدعية
في أيام الجمعة، وفي رمضان يعلم لماذا لا يستجاب
دعاؤنا، فمن الأدعية المشهورة مثلاً على ألسنة الأئمة (اللهم أبرم
لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك)،
وأنت إذا نظرت في أحوال المسلمين تعلم مسبقًا أنهم أهل معصية، ومن
ثم يكون دعاؤهم السابق عليهم لا لهم، وكذلك من الأدعية الشائعة
على ألسنة المسلمين: (اللهم اخذل من خذل الإسلام)، فهل
نحن خذلنا الإسلام أم نصرناه؟

ص ٥٩

ولـكـن مـا إن يـتـأمـل المـرء
الصورة التي لا نحسد عليها الآن فسوف يجد
أن فلسطين محتلة احتلالاً رسميًا ولا ينطبق عليها
اسم ثغر ألبتة، وأننا في حالة يرثى لها من جميع النواحي
وأنـه لا قيمة لنا دولًا وأفـرادًا وأن علماء المسلمين لا قيمة لهم
تُذْكَرْ في دولهم ناهيك عن دول غيرهم، وشباب المسلمين إذا ظهرت
عليهم آثار التمسك بالدين فإن أول من يقوم بمحاربتهم أهلوهم قبل
حكوماتهم وأول من يمد يد العون للمحتلين ويتنافس لحمايتهم هم
المسلمون أنفسهم، فيساعدون أعداءهم على إخوانهم في واقع مختل
وحاضر مهين.

وكل هـذا الـذي ذكرنـاه يـدل دلالـة واضـحة على أنـنـا نعيش
مرحلة مكية بحتة، وعلينا جميعًا أن نتعامل في هذه الفترة،
ونعيش، ونتعايش بالمصطلحات الفقهية المكية، ومن
أكبر الأخطاء أن نتعامل مع الظروف الراهنة
بالحياة المدنية.

ص ٦٥

قلنا: قدمت الجزائر
مليون شهيد لإخراج الفرنسيين
منها، وبعد أن خرجت فرنسا يذهب
الجزائريون أنفسهم الآن إليها بكل عناء ومشقة
ليبحثوا عن عمل لدى الفرنسيين، وهكذا الأمر في معظم
الدول العربية التي كانت مستعمرة بعد أن خرج المستعمر منها
ونجح أهلها في تحريرها كما قالوا ضعف الأمن والاقتصاد وقلت
فرص العمل في هذه الدول المحررة، وصار أبناء هذه الدول يقفون
طوابير أمام سفارات الدول التي كانت تحتل بلادهم؛ للحصول على
تأشيرات عمل للذهاب إليها بعد أن جاهدوا سنوات عديدة لإخراجها
من أوطانهم، بل إن الأخطر والأكثر فزعًا من ذلك أنك تجد بعض
المسلمين يهاجرون بنسائهم وأطفالهم إلى هذه الدول، مع أن الهجرة
إليها محرمة بنص القرآن والسنة.

أما كان أجدى بأبناء هذه الدول الضعيفة أو الفقيرة أن يتركوا
هؤلاء المحتلين الذين احتلوا بلادهم فيعملوا لديهم ويستفيدوا من
خبراتهم ليعمروا أوطانهم وينشروا إسلامهم حتى يقوى عودهم، أما
كان هذا خيرًا لهم من أن يقدموا أبناءهم قرابين لما يسمى بالتحرر
وطرد المحتل، وإخراجه من البلاد، مع أن هذا المحتل - في الحقيقة لم
يخرج، لأنه ذهب وترك أفكاره وثقافته ومن يحكم باسمه وأمره.

أي: أن الأصل قد خرج، وبقيت الصورة، والصورة كما
هو معلوم لا تنفع، ولا تضر، ولو بقي الأصل لنفع
أكثر مما أضر.

ص ٦٩

إهـداء

إلى من يهمهم أمر الإسلام...

وعز المسلمين...

وإظهار الحق كيفما كان

شكر

أتقدم بالشكر لجميع من شارك بإجابة،

أو رأي على السؤال المطروح في الموقع.

وغفر اللّه لمن دعم هذا الكتاب

لماذا هذا الكتاب؟

في يناير ٢٠٠٦ فازت حماس في الانتخابات الفلسطينية وفرحت كما فرح غيري فكتبت رسالة تحمل في داخلها نصيحة خوفا عليهم مما يراد بهم على حسب تقديري وجاءتني فكرة أن أطرح هذه النصيحة أو الرأي في وسيلة إعلامية من أجل تصحيح المسار وإحداث تأثيرا إيجابيا ولم أجد وسيلة أنجح وأفضل من عمل موقع على شبكة الإنترنت.

أتبعت هذه النصيحة برأيي في عدة قضايا وأسئلة طرحها عليّ بعض الأخوة الغيورين عندما كنت ألتقي بهم بعد أن روج لها الإعلام وصدقها المتابعون مثل الحرب الصليبية وحركات التحرر والحكام والديمقراطية والعمليات الاستشهادية (التفجيرات) والخلافة وغيرها.

بعد ذلك طرحت سؤال (من أسقط العالم الإسلامي؟)، وعرضت هذا السؤال على جمع من العلماء والمفكرين، وانطلقت أبحث عن إجابة متبعا لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧)، فشارك من شارك وأحجم من أحجم.

بدأت من جدة وانتهيت بالقاهرة مرورا بدمشق وطرحت على من تيسرت لي مقابلتهم من العلماء في هذه المدن وغيرها السؤال السالف الذكر (من أسقط العالم الإسلامي؟). استخدمت كل وسائل الاتصال المتاحة لي مثل التليفون المحمول والشبكة العنكبوتيه وغيرها لإيصال السؤال للعلماء المسلمين دون تردد حتى أصل لحل اللغز المطروح (من أسقط المسلمين؟).

وقد صدمت كثيرا عندما وجدت العلماء بخلاف ما كنت أتصورهم وأرسمهم في مخيلتي وازدادت صدمتي وحيرتي عندما تذكرت سيد البشر عليه الصلاة والسلام سيد الدعاة والعلماء عندما كان يعرض نفسه على القبائل راجيا ومترجيا منهم قبول دعوته حتى لو أدى ذلك إلى انتقاصه أو ضربه والبصق علي وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام، وعلى النقيض من ذلك، وجدنا أنفسنا في زمن نعرض فيه أنفسنا على العلماء لنستتنير بهم ونتعلم منهم ونتعرف على الفتاوى والمسائل فإذا بعلمائنا الكرام يحتجبون عنا ويضعون في طريقنا العراقيل حتى لا نصل إليهم.

ويتلخص رأيي في أن هناك شريحتان أضروا بالأمة وأسقطوها - من حيث يدرون أو لا يدرون - وهما: العلماء والمفكرون.

فالعلماء وهم الأصل لم يقوموا بدورهم المطلوب منهم، أما المفكرون وهم التبع فيقدمون مناهجا غربية صرفوا بها أنظار المجتمع عن حقيقة سقوطه بفروع لا تَمُتُّ – كما نرى – لنهوض المسلمين بصلة، وهناك بعض العوامل التي توضح ما ذكرنا؛ لأن الجميع يدعي محاولة الإصلاح والتغيير.

بعض المخلصين – سواء كانوا اقتصاديين أو سياسيين أو غيره – يسعون إلى التغيير، ونقول لهم: لا ولن تستطيعوا!! ذلك أن الإصلاح أو التغيير لا يتحقق إلاّ إذا غيّر العلماء مناهجهم وأصلحوها، يقول سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ (الرعد: ١١)، وكيف يستطيع الفرد المسلم أن يتغير في مجتمع مليء بالمتناقضات، لابدَ له من قدوة صالحة ينظر إليها، لابد له أن يرى أثر ذلك التغير واضحاً في سلوك ومنهج من سيقتدي بهم، فالصحابة الكرام – رضي الله عنهم – رأوا بأمِّ أعينهم حياة الرسول عليه الصلاة والسلام فتغيروا، وشاهد التابعون الصحابة فتأثروا بهم وتغيروا، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (يوسف: ٥٣)، فالنفس جبلت على حب الشهوات، فإذا رأت أنْفُسًا طاهرةً زكيةً تغيرت من فورها، فأين هذه الأنفس الزكية؟

فالعلماء والمفكرين وفقهم الله لكل خير – وهم أول من يسقطون العالم الإسلامي إذا سقط وينهضون به إذا نهض – لم يقوموا بدورهم، وقد فصلت ذلك داخل الكتاب، وأما المفكرين كما يسمونهم صرفوا أنظار المسلمين عن حقيقة سقوطهم إلى أمور أخرى ينسبونها إلى النهوض وهي بعيدة كل البعد عنه متعللين بأعذار مثل عدم وجود سقف للحريات مع العلم أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم إنطلقوا من مكة وكان بها جميع أنواع الاضطهاد وقمع الحريات.

وقد جمعت كل ما تقدم من الموقع ووضعته في هذا الكتاب.

وصلى الله على سيدنا محمد

سعيد المحفوظ

القاريء الكريم..

- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟**
- **لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟**
- **من المسئول عن تخلف المسلمين؟**
- **ما الأدواء المنتشرة بين المسلمين؟**
- **كيف ينهض المسلمون من كبوتهم؟**

هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة والأبحاث المطروحة على الساحة الفكرية قديمًا وحديثًا؛ لأجل النهوض بالأمة الإسلامية صغناها في قالب وأسميناه: «من أسقط العالم الإسلامي؟» ووصفناه على الشبكة العنكبوتية، ووضحنا هدفه وفكرته، وراسلنا كثيرًا من العلماء والمفكرين للمشاركة في الإجابة عن هذه التساؤلات وتركنا الباب مفتوحًا لكل من يدلي بدلوه، وكتبنا وبيَّنا آراءنا وتصوراتنا في أسباب سقوط المسلمين، وكيف يكون نهوضهم؟ وحذرنا من المناهج الفاسدة التي يتصور البعض

أنها تنهض بالأمة، ووضعنا هذا كله بين يدي القارئ الكريم في هذا الكتاب، ومن أراد الاستزادة ومشاهدة آراء جميع المشاركين، فليتفضل مشكورًا بدخول الموقع.

كما نرجو ممن يجد عنده رأيًا يتعلق بموضوع هذا الكتاب ألا يبخل علينا به، سواء أكان رأيه موافقًا للآراء الموجودة في الكتاب، أم مخالفًا لها؛ لأن القصد في النهاية هو الوصول إلى الحقيقة، وتحديد الداء لمعرفة الدواء، فهذه هي نيتنا، وهذا هو هدفنا، وكل ما أدى إليه فهو معنا وليس ضدنا، وكما جاء في الحديث: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[1].

---

(١)) أخرجه البخاري (٩/١) كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي، حديث (١)، ومسلم (١٥١٥/٣) كتاب الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»، حديث (١٥٥/١٩٠٧).

الهدف من الموقع

يبذل كثير من المسلمين المخلصين والغيورين جهودًا مشكورة لإخراج أمتنا الإسلامية مما هي فيه الآن من انهزامية وتشتت وإعادتها إلى حياة العزة والكرامة والتمكين التي كانت عليها سلفًا، ولكن هذه الجهود التي بذلت وما زالت تبذل إلى الآن، لم تكن في مستوى تطلعات أبناء هذه الأمة؛ لأنها لم تحدث الأثر الفعال الذي يروي غليل المشتاقين إلى زمن عزة الإسلام، ويرجع هذا في رأينا إلى أمرين:

الأول: أن هذه الجهود مبعثرة هنا وهناك.

الثاني: أن هذه الجهود قد تصادمت بدلًا من أن تتحد، وصار الخلاف بينها خلاف تضاد وليس خلاف تنوع[1].

---

(١) عرف شيخ الإسلام ابن تيمية اختلاف التضاد بأنه هو ما كان فيه القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع عند الجمهور، وهو مذموم، بينما خلاف التنوع لا بأس به ولا يوجب الفرقة كخلاف التضاد، ويسميه البعض بخلاف المباح.

ينظر: الجماعة والفرقة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (٥٣).

ونظرًا لخطورة الوضع الراهن الذي عليه أمة الإسلام، واعترافًا بأهمية دور الغيورين والمصلحين في النهوض بالأمة، فلا بد من مشاركة جميع أهل العلم والفكر، واستمرارهم في الحوار والمناقشة؛ حتى نصل إلى مكامن الداء، التي تعين في التعرف على الدواء، فالجميع يعلم أن الأمة الإسلامية كانت في يوم من الأيام في الأعلى فهوت، ولا شك أن كل مسلم مخلص في إسلامه، غيور على أمته يتمنى الصعود بها من جديد، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا إذا علمنا كيف سقطت هذه الأمة؟ فإذا عرفنا سبب السقوط سهل علينا إعطاء العلاج المناسب للصعود.

ففي حديث حذيفة رضي الله عنه: «كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن أقع فيه»(١).

والسؤال المطروح في الموقع هو:

ما أسباب سقوط العالم الإسلامي في رأيك؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/٩٥) كتاب الفتن، باب: ذكر الفتن ودلائلها (٤٢٤٤)، وأحمد في المسند (٥/٣٨٦ ٤٠٣)، والحاكم (٤/٤٢٣) وصححه ووافقه الذهبي.

كلمة مشرف الموقع

من فضل الله تعالى على عبده أن يجعل الآخرة هي همه، وصيانة الدين هي شغله الشاغل، فقد روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»[1].

وكما هو ملاحظ في هذه الفترة التي نعيشها، فإن مشاكل الحياة المتنوعة، قد شغلت الناس وجعلتهم ينسون أو يتناسون الأهداف الأخروية، التي من أجلها أوجدهم الله في هذه الحياة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥٥٤) كتاب في صفة القيامة، باب: من كانت الآخرة همه، وابن ماجه (١٣٧٥/٢) كتاب الزهد، باب: الهم في الدنيا (٤١٠٥)، وصححه ابن حبان، وذكره الهيثمي في موارد الظمآن (٤٧)، كتاب العلم، باب: رواية الحديث (٧٢)، من حديث زيد بن ثابت.

ولما لم يكن ذلك لائقًا بالمسلمين، وكان واجبًا على كل مسلم أن يأخذ بيد أخيه إلى طريق الله تعالى، ولما كان أي مشروع وخاصة إذا كان المشروع أخرويًّا، لن يأتي بالنتائج المرجوة منه إذا لم تكن هناك جهود جماعية تتكاتف من أجل تنفيذه؛ لأن الله جعل البركة في الجهود الجماعية، مصداقًا لما جاء في الحديث:

«يد الله مع الجماعة»[1] ولما كان المسلم مأمورًا بسؤال أهل الذكر فيما يعن له من مشكلات امتثالًا لأمر الله سبحانه حيث يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧).

من أجل ذلك كله قمنا بإرسال أكثر من ثلاثمائة بطاقة للعلماء، والمفكرين، والمواقع الإسلامية نسألهم ونستشيرهم ونستفتيهم في موضوع هذا الكتاب، والحمد لله، فإن البعض منهم قد استجاب وأفادنا بالجواب الحسن فجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموه لخدمة الإسلام والمسلمين.

والحق أن أكثر الإجابات التي وردت إلينا قد استخدم أصحابها جزاهم الله خيرًا ألفاظًا، مثل: تأخر، تدهور، تراجع، تخلف، انحطاط وقليل منهم من أيد عبارة السقوط.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩/٤) كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة حديث (٢١٦٦)، والحاكم في المستدرك (١١٦/١)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٦٧/١). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه. وقال الحاكم: وإبراهيم بن ميمون «أحد رواة الحديث» هذا قد عدله عبد الرزاق وأثنى عليه.

ومن الجدير بالتنبيه عليه هاهنا أننا لم نقم بعمل هذا الموقع لنتهم شريحة بعينها من شرائح المجتمع بأنها المسئولة عن سقوط الأمة، أو تأخرها، وإنما نحن جميعًا مشاركون في نهضة هذه الأمة أو سقوطها والنسب قد تتفاوت فيما بين الشرائح، ولكن الجميع مسئولون؛ وحسبنا قول الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٤).

ويبقى أن نذكر الإخوة الكرام الذين لم تصلنا ردودهم إلى الآن، ولا نعلم ظروفهم، بأن الإجابة عن التساؤل المطروح عليهم من صميم العمل الإسلامي، ونحن في انتظار إجاباتهم.

وأخيرًا ننوه بأن هناك صيغتين للسؤال:

صيغة للرجال وأخرى للنساء، موجودة بالموقع، نرجو ممن لم يصله السؤال أن يجيب من الموقع مباشرة، ونرحب بالجميع، وكان الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه كما قال ﷺ [(١)].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٧٤) كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٢٦٩٩)، وأبو داود (٢/٧٠٤) كتاب الأدب، باب: في المعونة للمسلم (٤٩٤٦)، والترمذي (٤/٣٤) كتاب الحدود، باب: ما جاء في الستر على المسلم (١٤٢٥)، وابن ماجه (١/٨٢) المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٥).

من يُقبِّل من أجل مصلحة شعبه

نصيحة لحركة حماس وفقهم الله

إبان فوزهم في الانتخابات

أولى الإسلام أمر إسداء النصح للمسلمين عناية كبرى، حتى قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

ومن هذا المنطلق نتوجه بهذه النصيحة إلى الإخوة الكرام في حركة حماس سلمهم الله من كل شر، مباركين لهم الفوز بانتخاب غالبية الشعب الفلسطيني لهم، ونسأل الله أن يعينهم على تحمل المسئولية التي أسندت إليهم.

ونبدأ لهم بالقول:

إنكم أول جماعة إسلامية تصل إلى هذا المنصب في عالمنا الإسلامي

---

(١) أخرجه مسلم (١/٧٤) كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة حديث (٥٥/٩٥) وأبو داود (٥/٢٣٣ ٢٣٤) كتاب الأدب: باب في النصيحة حديث (٤٩٤٤) والنسائي (٧/١٥٦) كتاب البيعة: باب النصيحة للإمام، وأحمد (٤/١٠٢).

على حد علمنا، وإنه بأيديكم رفع معاناة شعبكم والعكس صحيح، ومسئوليتكم أعظم من أن تنشغلوا بردود الأفعال: دولية كانت أم محلية، أو ببهرجة وتطبيل بعض الصحف، فكل له مصالحه، فهناك من يريد المواجهات والعمليات الفدائية يظنها أسرع الطرق لتحقيق الأهداف، وهو واهم في ذلك تمامًا، وهناك من يريد أن يثبت للعالم أن الإسلام غير صالح لهذا الزمان؛ ومن ثم فهو يتمنى فشلكم في قيادة الشعب الفلسطيني الذي انتهج غالبيته النهج الإسلامي المتمثل في ترشيحكم، وهناك من انتخبكم لإعادة بعض حقوقهم التي يعتقدون أن الحكومة السابقة أضاعتها، أو تساهلت فيها.

ومن هنا أرجو أن تعوا حجم هذه المسئولية التي يراهن عليها الكثيرون، ولا تجعلوا الاعتراف بإسرائيل قضية تنسيكم المهام الكبرى التي وليتم إياها.

ولا بد أن تعوا أن التعامل مع الأحداث بحنكة يتطلب منكم أن تتنازلوا عن شخصياتكم ومنهجكم الذي انتهجتموه ما لم يعارض نصًّا قطعيًّا لا مجال للخلاف فيه، وأسوتكم في ذلك خير خلق الله قاطبة محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ الذي دفعه حرصه على مصلحة الإسلام والمسلمين في صلح الحديبية إلى أن يتنازل عن إثبات لفظة (رسول الله)[1] في كتاب

(١) أخرجه أحمد (٣/٢٦٨)، ومسلم (٦/٣٧٧ نووي)، كتاب الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية، حديث (٩٣/١٧٨٤)، وابن حبان (١١/٢١٤)، كتاب السير، باب: الموادعة والمهادنة، حديث (٤٨٧٠)، وأبو يعلى (٦/٦٩، ٧٠)، برقم (٣٣٢٣)، والبيهقي (٩/٢٢٦)، كتاب الجزية، باب: الهدنة على أن يرد الإمام من جاء بلده مسلمًا من المشركين.

الصلح عندما رفض سهيل بن عمرو إثباتها؛ كما تنازل ﷺ عن العمرة وعاد إلى المدينة، رغم إحساس الكثير من الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالقهر من بنود هذه المعاهدة.

ولا تعيروا اهتمامًا بمن يقول: إن حماس انسلخت عن منهجها، فقد قيل للرسول عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك، وحسبكم أنكم تخلصون الشعب الفلسطيني من هذه المواجهات اليومية، من قتل وقهر وفقر وبطالة وظلم وخوف: دون مخالفة لنصوص الشرع، أو خروج على هدى الحق سبحانه وتعالى.

صحيح أن هناك من يقول بأن السلطة السابقة وبعض الدول التي اعترفت بإسرائيل لم تجن أي فائدة من هذا الاعتراف، لكن هذا لا يعني: أن الصلح مع إسرائيل لا فائدة فيه تمامًا، وإنما قد يشتمل الصلح معها على كثير من الفوائد إذا حسنت النوايا، وصدق الاتباع لمنهج الحق، وأحب أن أذكركم فقط بأن الفرق كبير جدًّا بين من يمتثل في الصلح هدي الرسول عليه الصلاة والسلام، وبين من يمتثل في الصلح هديًا غير هدي الرسول ﷺ؛ كالذي يبحث عن مصالحه الشخصية، وإرضاء الغير على حساب شعبه.

إن أي صلح أو اتفاقية على غير هدي الرسول عليه الصلاة والسلام لن تجلب للأمة إلا الدمار والعار، ولو كان هذا الصلح في الظاهر انتصارًا لنا، وأخذًا للأرض، أما إذا كان الصلح على هدي الرسول عليه الصلاة

والسلام ولو بدا في هذا الصلح بعض التنازل فسوف تشاهدون بأعينكم نور قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (الفتح: ١).

إن المشكلة ليست في الصلح، ولكن في نية من يتولى أمر الصلح، ولنقرب المسألة إلى الأذهان، ونوضحها بضرب مثل لرجلين يصليان: أحدهما يقوم في الصف ليصلي؛ امتثالًا لأمر الله، واقتداء بهدي رسول الله ﷺ، والآخر يقوم معه في الصف نفسه، ولكنه قام اتباعًا لهواه ومصالحه الشخصية، وحب الظهور أمام الناس وأنه من المصلين.

فلا شك أن بين هذين الرجلين فرق ما بين السموات والأرض، وهكذا الحال في أمر المفاوضات والصلح مع إسرائيل: هناك فرق ما بين السماء والأرض بين من يفاوض مخلصًا نيته لله تعالى راجيًا الخير لدينه وأمته، ومن يفاوض رياء ومباهاة يرجو لنفسه مجدًا شخصيًّا وهذا الذي جعل جميع المعاهدات التي تمت في الحضيض؛ لأن من تفاوض فيها يبحث دائمًا أن يكون رجل السلام!! وليس ابن الإسلام.

فلا تقعوا في هذا الفخ، ولا تنزلقوا في هذا المنزلق، تنازلوا عن آرائكم وعن الرسميات مقابل المصالح الكبرى، فعلى حماس أن تقبل المصالحة من أجل المصلحة الإسلامية أولًا، ثم الوطنية ثانيًا، وليس عارًا، ولا عيبًا أن تقبلوا اليهود، وتتصالحوا معهم ومع أمريكا، وأوروبا، ما دامت مصلحة الإسلام تقتضي ذلك على نحو ما فعل الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي عندما وقع في أسر الروم، ومنعوا عنه الطعام والشراب أيامًا، ثم جاءوا إليه بخمر ولحم خنزير، فلم يقربه، ثم استدعاه ملك الروم، فقال: «ما منعك أن تأكل؟» فقال: «أما إنه قد حل لي، ولكن لم أكن لأُشمِتك

بي» قال له: «قبل رأسي، وأفك أسرك». فلم يوافق، ثم أطلق سراحه بعد أن وافق على تقبيل رأس الملك مقابل فك أسرى جميع المسلمين[1].

فتنازل رضي الله عنه عن منهجه بما لا يخالف الشرع، لا من أجل مصالح شخصية، ولكن من أجل تحقيق مصلحة كبرى للمسلمين، وعندما عادوا إلى المدينة أقره عمر بن الخطاب على فعله، وأكرمه قائلًا: حق على كل مسلم أن يُقبِّل رأسك، ثم قام عمر فقبل رأسه[2] وما ذلك إلا لأنه تنازل عن منهجه مقابل مصالح الأمة، ولم يخالف الشرع، فوالله إنها لفرصة عظيمة، فلا تحرموا شعبكم من الاستفادة منها، فإن الذي صالح مشركي مكة هو خير البشر عليه السلام، وإن الذين تولوا أمر الصلح قبلكم لم يكونوا مؤهلين إسلاميًّا، ولذلك لم تجن الأمة شيئًا، وأما أنتم فلديكم الفكر الإسلامي، وقد ساقكم الله إلى هذا المنصب فاستثمروه، ولا تنظروا خلفكم.

خذوا الإعانات، واقترضوا منهم، ومن غيرهم؛ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام مات ودرعه مرهونة عند يهودي[3]، وليس صحابيًّا، ولا تنظروا لعرفات رحمه الله فإن تقبيلكم يختلف عن تقبيله[4] ومنهجكم يختلف عن منهجه، وفكركم يختلف عن فكره.

---

(١) البداية والنهاية (٢٢١/٧)، والمنتظم (٣٢٠، ٣٢١).

(٢) البداية والنهاية (٢٢١/٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٧/٦) كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في درع النبي ﷺ (٢٩١٦).

(٤) العبارة هنا مستقاة من قصة عبد الله بن حُذافة السابقة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ ﴾ (آل عمران: ١٧٣ – ١٧٤).

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (الأنعام: ١٧).

وفي الختام، ألا هل بلغت اللهم فاشهد، فالشاهد يبلغ الغائب، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. والله من وراء القصد...

في الساحة أسئلة كثيرة

كثير ممن نقابلهم أو نلتقي بهم يسألون: لماذا وصل المسلمون إلى ما وصلوا إليه من انحطاط وتدهور وتخلف وتراجع وسقوط و... إلى آخر هذه الأوصاف التي تعبر عن الحالة التي وصلت إليها أمة الإسلام الآن؟

وقد تختلف الآراء في أسباب وصولنا إلى هذه المراحل المذكورة، فيرى البعض أننا وصلنا إلى ذلك بالفعل، ويرى آخرون أننا أسوأ من ذلك ويرى فريق ثالث أننا أفضل بكثير مما ذكرنا.

لكن في كل الأحوال لا يستطيع أحد من المسلمين أن يتجرأ ويقول: إننا لم نتخلف، ولم نتراجع، ولم نتدهور، لا يستطيع أحد القول بأننا نعيش في عصر من عصور الازدهار والتقدم والتطور والحضارة للعالم الإسلامي!!!؟

إذن، فنحن قد نتفق أو نختلف في وصف العالم الإسلامي بأحد المسميات السابقة، لكن لا مناص أمامنا من الاعتراف بأن العالم الإسلامي في تخلف مقارنة بغيره كالعالم المسيحي أو العالم اليهودي

أو غير ذلك، مع إيماننا بأن خريطة العالم الإسلامي ليس فيها ما يسمى بالعالم الإسلامي أو اليهودي أو غيره[1].

ولما كان هذا هو الواقع فلا مجال للخلاف حول المسميات والأوصاف، ويبقى الواجب الذي يفرض نفسه هو البحث عن سبب هذا التأخر، وعلة هذا التدهور.

فما السبب؟

هل سقوط الخلافة هو السبب الرئيسي فيما وصلنا إليه؟
أم الجهل بالإسلام وتعاليمه هو الذي أدى إلى هذا التراجع؟
أم الرضا بالزرع وترك الجهاد؟
أم المؤامرات على الإسلام والمسلمين كما يقول البعض؟
أم الاختلاف الذي بين المسلمين الذين صاروا جماعات وفرقًا وطوائف متنازعة متناحرة كما هو حاصل الآن؟
أم علماء المسلمين؟ أم حكام المسلمين؟ أم عامة المسلمين؟
أم النصارى؟ أم اليهود؟ أم المال؟ أم النساء؟ أم جميع ذلك؟

لا بد من البحث عن علة تأخرنا من بين هذه العلل، أو غيرها؛ لأنه لا يمكن في رأينا أن ينهض العالم الإسلامي إلا بتشخيص الحالة التي ليست بمستعصية؛ لأن بعض أبناء المسلمين سئموا من إهدار الطاقات والأموال والأوقات فيما لا فائدة من ورائه.

---

(١) وذلك لأن الدين عند الله الإسلام، ومن ابتغى غير الإسلام دينا فلن يقبل منه.

أين الخلل

إذا كان لا مناص من الاعتراف بتأخر المسلمين، ولا بد من البحث عن علة هذا التأخر وسببه على ما مضى بيانه، فلا بد أيضًا من الاعتراف بأن هناك كثيرًا من الجهود التي تبذل لإصلاح أحوال المسلمين، لكنها للأسف لم تؤت ثمارها المرجوة منها؛ مما يحتم علينا سؤالًا آخر عن الخلل في هذه الجهود، أين هو؟

فالناظر في عالمنا الإسلامي يجد أن كثيرًا من أبناء الإسلام، سواء كانوا أفرادًا أم جماعات أم حكومات، قد قدموا جهودًا كثيرة لنصرة قضايا الأمة: فها هي الحكومات الإسلامية برغم أنها كثيرًا ما تتهم بأنها لم تقدم شيئًا للإسلام – قد قدمت الجيوش والأموال من أجل تحرير فلسطين، ولم تحرر فلسطين، ولكن لا بد من الاعتراف بأنهم قدموا!

وهناك الجماعات الإسلامية، مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر وفروعها في فلسطين ولبنان وغيرهما قدمت الكثير من التضحيات من

أجل الوصول إلى السلطة لإقامة الدين والحكم بشرع الله، بيد أنها لم تصل إلى السلطة كما أرادت ذلك.

السلفيون في السعودية وفروعهم في كثير من الدول قدموا الأموال، وكتب التوحيد، والعقائد، لنشر العلم، وكان لهم بعض ما أرادوا، لكنهم لم يحققوا الهدف المنشود بعد.

وجماعة الدعوة والتبليغ في الهند وفروعها في جميع أنحاء العالم، قدمت منهجًا للدعوة إلى الله، لهداية الناس وإقامة الدين ورأت بعض آثار جهودها لكنها لم تصل أيضًا إلى الهدف المنشود بعد.

والشباب في فلسطين من عشرات السنين وهم يقدمون الغالي والنفيس، حتى وصل بهم الأمر إلى أن يقذف أطفالهم دبابات المحتل بالحجارة، ومات أطفالهم، وهدمت بيوتهم، ومع هذا لم يطرد المحتل.

وشباب المسلمين الصادقون الغيورون، الذين لا تخلو منهم ديار المسلمين جاهزون لفعل أي عمل؛ لنصرة دينهم.

فأين الخلل؟

تساؤلات حائرة

بالرغم من كل هذه الجهود السابقة وغيرها نجد أن هناك من يقول: إن العالم الإسلامي يتقدم خطوة إلى الأمام، ويرجع خطوتين إلى الخلف!

وهنا تزداد الحيرة، وتكثر التساؤلات:

فما هو هذا التقدم إلى الإمـام: هل هو تقدم علمي!؟ أم صناعي!؟ أم حضاري!؟ أم ديني!؟ أم في جميع نواحي الحياة؟!

وهل التأخر مثل ذلك أم أننا نتقدم خطوة في مجال، ونتأخر خطوتين في مجال آخر؟ أم أننا نتأخر الخطوتين في المجال نفسه الذي سبق أن تقدمنا فيه، فنهدم ما بنيناه؟ وهل نحن نتقدم خطوة إلى الأمام فعلًا في بعض المجالات؟ أم أن هذا مجرد وهم، ونحن ثابتون في مكاننا لا نتزحزح عنه؟

وهل هناك أعداء للأمة الإسلامية، يفرحون بهزيمتها وسقوطها؟

وما سبب هذا العداء؟ وماذا يريد هؤلاء الأعداء؟

ومن هم أعداء الأمة الذين يجب محاربتهم؟ هل هم مسلمون؟ أم نصارى؟ أم يهود..؟

اليهود

أمام هذه التساؤلات الحائرة، نجد أن أكثر الآراء التي يرددها كثير من المسلمين:

أن اليهود هم سبب مصائبنا.

والسؤال الذي يفرض نفسه هاهنا:

لماذا اليهود هم سبب مصائبنا؟ ولماذا هم أعداؤنا؟

هل لأن الله ذمهم في القرآن؟

أم لأنهم احتلوا أرضنا؟

أم لأنهم يريدون أن يمزقوا إسلامنا؟

وهل جميع اليهود كذلك؟ أم ثمة فرق بينهم؟

وما إن يستقر المرء على إجابة لهذه التساؤلات حتى يرد في ذهنه ما يشككه فيها: فإذا كان اليهود أعداءنا بسبب أن كثيرًا من صفاتهم ذمها الله ورسوله، فإن بعضًا من أبناء المسلمين يحملون مثل هذه الصفات المذمومة.

وإذا كان اليهود أعداءنا بسبب أنهم احتلوا أرضنا، فهذا الرأي غير صائب، لأن جميع دول العالم غير العظمى محتلة، وتحكمها الدول العظمى، وليس باستطاعة دولة ضعيفة - وجميع الدول الإسلامية للأسف الشديد تعد دولاً ضعيفة - أن تعيش بدون دفع الإتاوات لدولة كبرى تحميها، من شروط هذه الحماية أن تتحكم هذه الدولة الكبرى الحامية في قرارات ومصير الدولة الصغيرة المحمية، وهو الاحتلال بعينه، وهذا هو حال العالم، وها هي أمريكا تهيمن على أكثر دول الأرض وهيمنتها ليست بالقوة العسكرية بقدر ما هي بالأفكار والإعلام، وعلى رأس القائمة هوليوود.

واليهود مهيمنون على أمريكا بترشيح رؤسائها وسقوطهم بالخبث والدهاء.

ومن يحرك ويتلاعب في اليهود؟؟ هل هو إبليس؟؟

إبليس

عدو البشرية الأول هو إبليس عليه من الله ما يستحق

يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (مريم: ٨٣). أي: تغريهم، وكما جاء عن ابن عباس في تفسير القرطبي «تغريهم إغراء امض امض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار»[١].

ويقول ابن كثير: «وأما كافرو الجن، فمنهم الشياطين، ومقدمهم الأكبر إبليس، عدو آدم أبي البشر وقد سلطه الله تعالى هو وذريته على آدم وذريته، وتكفل الله عز وجل بعصمة من آمن به، وصدق رسله، واتبع شرعه منهم[٢]؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (الإسراء: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (ص: ٧٧ – ٧٩).

---

(١) تفسير القرطبي (١١/١٥٠).

(٢) البداية والنهاية (١/٩٦).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩).

والله عز وجل قد أبقى إبليس، وأنظره إلى يوم القيامة؛ ليكون محنة لعباده، واختبارًا منه لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (سبأ: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

فإبليس لعنه الله حيّ الآن، منظر إلى يوم القيامة بنص القرآن الكريم، وله عرش على وجه البحر، وهو جالس عليه، ويبعث سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن[١].

وعندما فشل إبليس في أن يتلاعب بجميع المسلمين عن طريق الهوى، اتجه إلى التلاعب بمن يتلاعب بالمسلمين الآن، وما أكثرهم من يهود وأمريكان...

فهاهم اليهود يتلاعبون بنا في فلسطين وغيرها، وها هي أمريكا تتلاعب بالمسلمين في أفغانستان، وفي العراق التي دخلوها من أجل ملك لا يبلى، وَسْوَسَ لهم الشيطان به؛ كما وسوس لآدم من ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ (طه:

---

(١) البداية والنهاية (١/٥٨، ٥٩).

١٢٠)، فدخول أمريكا العراق كان لسببين:

الأول: شجرة الخلد المتمثلة في البترول.

والثاني: وملك لا يبلى يتمثل في إذلال الحكام، وكان لهم ما أرادوا، ويقول عز وجل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠).

ومن أعظم وأخطر مداخل إبليس اتباع الهوى، وفي الحديث «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[1]، فهل اتباع الهوى سبب لرضا اليهود والنصارى؟

وهل اتباع الهوى هو سبب ما صار إليه حال المسلمين؟ الأمر يحتاج إلى تشخيص جيد للحالة لوصف العلاج الناجع الصحيح لها.

---

(١) أخرجه الترمذي في نوادر الأصول (٤/١٦٤) عن عبد الله بن عمر، وعزاه الهندي في كنز العمال (١/٢١٧) من الكتاب الأول في الإيمان والإسلام، باب: الاعتصام بالكتاب والسنة له وإلى أبي نصر السجزي في الإبانة.

وقال السجزي: حسن غريب، وأخرجه بسنده الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤/٤٦٩)، في ترجمة أحمد بن محمد الإسفراييني (٢٢٣٩)، وأورده النووي في الأربعين (٤١)، وقال: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح، ونازعه ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (٢٨١)، وقال: إن تصحيحه بعيد لانفراد نعيم به وهو ضعيف لكثرة روايته المناكير، وقد اختلف في إسناده كما أن عقبة بن أوس مجهول.

طرق التشخيص

لا شك أن الحالة التي تمر بها الأمة الإسلامية في هذا العصر حالة مرضية ظاهرة، تحتاج إلى تشخيص وعلاج: والتشخيص والعلاج يحتاجان إلى عناصر مهمة، تتمثل فيما يلي:

أ- تحديد العلة.

ب- تحديد العلاج المناسب لهذه العلة.

ج- تحديد الجرعة المناسبة من هذا العلاج لهذه العلة.

د- تحديد الوقت المناسب للعلاج ومدته الزمنية.

ويمكن أن نوضح هذه الأمور بمثال بسيط على النحو الآتي: لو أن هناك شخصًا يشتكي من صداع مزمن، ثم تناول مسكنًا للصداع، فإن السؤال الذي يفرض نفسه حينئذ: هل ذهب الصداع؟ أم لا؟ فإذا ذهب الصداع، فهذا دليل على صحة العلاج والتشخيص والدليل على ذلك ذهاب الصداع.

لكن لو استمر الصداع فهذا يدل على أن المسكن لم يجدِ في العلاج،

وهذا يجعلنا نسأل أنفسنا: هل الجرعة كانت كاملة؟ هل الوقت كان مناسبًا؟ هل المسكن كان صحيحًا؟

ولا يشك عاقل أن العلاج خير من المسكنات، وما تحتاجه أمة الإسلام هو العلاج، لا المسكنات، ثم إنها لا تحتاج إلى علاج كيفما كان، وإنما تحتاج إلى العلاج الصحيح في الوقت الصحيح بالجرعة المناسبة، فكم من المسكنات التي أعطيت للأمة إلى الآن ولم تتغير الأوضاع ظل الحال على ما هو عليه تمامًا. وهذا لا يعني أن جميع العلاجات غير صحيحة بل بعضها صحيح، ولكنه قدم عن وقته أو أخر عنه ولكن هل هناك بادرة أمل؟ هل هناك ضوء في المستقبل القريب؟ هل هناك خطط مستقبلية تنتهجها القيادات الإسلامية؟

إلى أين نحن ذاهبون؟
نحن وقيادتنا وعلماؤنا ومفكرونا وكبارنا وصغارنا؟

هل نحن أمة عزيزة؟ أم أمة ذليلة؟
هل نحن أمة تملك قرارها؟
هل المجتمع الدولي يحترمنا؟

المشخصون

التساؤلات السابقة توجب علينا تحديد العلة وتشخيصها، ولكي يتم ذلك لابد من الذهاب إلى المختصين الذين لديهم القدرة على معرفة علل وسقوط الأمم وعلاجها.

ويبقى السؤال: أين هم هؤلاء المختصون المشخصون؟ إن الأمة الإسلامية تبحث عنهم من أجل تقرير مصيرها، وتشخيص حالتها؟

وإنه لشيء غريب ومؤلم ألا تجد الأمة الإسلامية من أبنائها من يقوم بإيجاد حلول لمشاكلها بل على العكس من ذلك تجد من أبنائها من يكثر من مصائبها وآلامها.

أين الصادقون؟ أين الحكماء؟ أين العقلاء؟ أين المفكرون؟ لا شك أنهم موجودون، ولكن أين هم؟

إن الأمة الإسلامية لا تبحث عن رجل المستحيل ولا عن رجل خارق للعادات، لكنها تبحث عن رجل يشخص لها علتها أو مرضها.

ما هو المرض؟

إن رحلة البحث عن المشخصين لأمراض هذه الأمة قد تكشف عن كثير من الأمراض، وكثير من المشخصين ينجح في تقديم العلاج المناسب للمرض الذي اكتشفه، ومع ذلك لا تتحسن الأوضاع كثيرًا، والسر في ذلك أن أحدًا من هؤلاء المشخصين لم يصل إلى أصل المرض، وأساس الداء الذي لو تم علاجه لسارت الأمور على ما يرام.

ولعل في هذه القصة ما يوضح ذلك:

فقد قيل: إنه كان لرجل معمل كبير، في يوم من أيام الأسبوع تعطل هذا المعمل، وتوقف عن الإنتاج وسرعان ما اتصل صاحبه بالأخصائيين لعلاج هذا التوقف، وجاء أحد المهندسين الكبار ليفحص، ويدقق، ويفكك قطعة من هنا، وأخرى من هناك، ويأخذ المبلغ المرقوم، ويعمل المعمل، ولكنه في اليوم التالي توقف ثانية، وعاد صاحبه وطلب مساعدة رجل ثانٍ وثالث، والنتيجة واحدة يعمل المعمل ليوم أو أكثر ثم يتوقف.

وإذا بأحد كبار المهندسين يطلب منه مائة ألف دولار ثمنًا، لتصليح

الخطأ الناتج عن سوء استعمال المصنع، واضطر صاحب المصنع أن يقبل لأن الآلات متوقفة ولا حل أمامه إلا هذا المهندس الماهر، الذي جاء إلى المعمل وليس معه أدوات، أتى بنفسه يتفحص كل الآلات، ثم يتوقف عند آلة صغيرة، لم يلتفت إليها أحد من قبله، واستخرج مطرقة صغيرة من جيبه وضرب على نقطة اختارها في موضع معين، فسار المعمل على أحسن ما يرام، وعندئذٍ ذهل صاحب المصنع وسأله: ألهذه الضربة الصغيرة تريد مائة ألف دولار؟

فأجابه المهندس الماهر: كلا يا سيدي، هذه الضربة لا تساوي دولارًا واحدًا، ولكن مائة ألف دولار هي ثمن اكتشاف موقع الضربة. والجزء الأول من هذه القصة يعبر عن الحاصل في عالمنا الإسلامي الزاخر بالعلماء والمفكرين، والدعاة، والباحثين، والمثقفين المهمومين بأمور أمتهم، وكلهم يحاول أن يشخص وأن يعالج، ولكنهم لم يصلوا بعد إلى أصل المرض، وكل ما وصلوا إليه أعراض جانبية يضعون لها العلاج لتختفي، ثم لا تلبث أن تعود سريعًا.

وما زالت أمة الإسلام بحاجة إلى استكمال الجزء الثاني من القصة السابقة لتجد من بين أبنائها المشخص الخبير الماهر، الذي يصل إلى مكمن الداء، ويعرف المرض الحقيقي الذي بسببه وصلنا إلى هذا السقوط الرهيب!؟ وهو ما يعني: أن الصعوبة ليست في العلاج فقط، ولكنها في معرفة المرض أيضًا.

من هو كبش الفداء؟

إذا كان صاحب المصنع في القصة السابقة هو الذي تحمل أعباء رحلة التشخيص والعلاج الخاطئة في الجزء الأول من القصة السابقة؛ فإن الشعوب الإسلامية في واقعنا المعاصر هي كبش الفداء الذي يتحمل سوء التشخيص والتخطيط وهي التي نظل نتساءل دائمًا: أين الحل؟ وما هو المخرج؟! هل المشكلة في دعائنا، أم فينا، أم في دعاتنا، أم حكامنا، أم علمائنا، أم في اليهود، أم النصارى، أم الحضارة، أم فيمن؟

لماذا وصلنا إلى هذه المرحلة التي صرنا فيها لا قيمة لنا، وصار المسلم مضطهدًا في كل مكان.

ما هي الأعمال التي قمنا بها حتى نستحق ما يحدث لنا؟ خير أمة أخرجت للناس، أمة تحمل أعظم كلمة، وأعظم كتاب، ونبيها خير البشر عليه الصلاة والسلام تكون بهذه الصورة؟!!

حقًّا: إنه عبء ثقيل على الشعوب، لكن لعل ما حدث لصاحب المصنع

في الجزء الثاني من القصة السابقة ما يخفف من حدة هذه المعاناة؛ فلعل الله يقيض لهذه الأمة من يكتشف مرضها، ويفلح في علاجه، فتهنأ هذه الشعوب، وتنعم بعز الإسلام؛ الذي نعم به أجدادنا.

ولكننا إذا أردنا عزة أجدادنا، فلا بد أن نسير على نهجهم؛ فهم قد أخلصوا لله دينهم، وعرفوا حق كلمة التوحيد التي دان لهم بها العرب والعجم؛ على ما سيتضح فيما يلي

ما هي هذه الكلمة التي أعزت المسلمين؟

إن الكلمة التي أعز الله بها المسلمين هي كلمة التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وهي الكلمة التي يفوق فضلها عند رب العزة سبحانه وتعالى كل فضل.

فالرسول عليه الصلاة والسلام بعد أن نزل عليه جبريل بالرسالة وأخذ يدعو أهل مكة أو مشركي مكة لم يتكلم معهم عن حضارة ولا بداوة، ولا تقدم ولا تخلف، ولا هندسة، ولا صناعة، ولا زراعة في مكة، ولا في الروم، ولا فارس، ولا الحبشة، بل الذي ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لمشركي مكة: قولوا لا إله إلا الله.

وقول (لا إله إلا الله) ليس مجرد حروف وأصوات يتحرك بها اللسان كما يفعل مئات الملايين من المسلمين الآن، لكنها ذات معان ودلالات وشرائط لابد أن يتقيد بها قائلها؛ حتى تكتب له العزة بها، وتفصيل هذه الشرائط يطول، وكتب العقيدة والتوحيد، قد كفتنا مؤنة ذلك، وقامت به على خير وجه، ويكفي هنا أن نذكر أن مفهوم هذه الكلمة باختصار شديد (تقديم الدين وتأخير الدنيا) وليس تركها.

فالمسلم الحق هو الذي يسود الدنيا ويعمرها بدينه، وينشر فيها التوحيد والإيمان والعلم.

جهود الجماعات الإسلامية

هناك ثلاث جماعات إسلامية معروفة مشهورة، وأثبتت وجودها على الساحة : (السلفية - الإخوان المسلمون - التبليغ)

والباقون إن لم يكونوا منهم فهم متفرعون عنهم.

ولكل جماعة من هذه الجماعات الثلاث فكرها، ومنهجها، وكل واحدة منها بذلت الجهد، لإصلاح أحوال الأمة من وجهة نظرها، فالسلفيون نشروا بعض المعلومات الشرعية التي يشكرون عليها وحذروا من الشرك وتبعاته، وما زالوا يبذلون الجهد المشكور في هذا الشأن، ولكن هناك من خرج باسمهم يكفر ويفسق ويبدع من يخالفه.

وجماعة الإخوان المسلمين قامت في بدايتها بكثير من المواجهات من أجل إقامة الدولة الإسلامية، فتحركوا، ونشروا الإسلام سياسيًّا، وما زالوا ينتظرون الفرج، وهناك من خرج باسمهم يكفر ويفجر أيضًا.

وجماعة التبليغ خرج رجالها، وضحوا بأموالهم وأوقاتهم وراحتهم من أجل الدعوة، وكان لهم ما أرادوا فلا تجد مسجدًا في العالم إلا

وبصمة التبليغ فيه واضحة حتى البيت الأبيض قد أصابه خيرهم، فهناك مصلى أقامه واحد منهم بكل هدوء، وعاد كثير من أبناء المسلمين العاصين والمرتدين إلى الدين بسببهم، وسوف يخرج منهم من يكفر ويفسق من يخالفه؛ لأن هذه سنة ماضية في الجماعات الإسلامية عندما لا يرى بعض أفرادها النتائج المرجوة، ورجال جماعة التبليغ لا يجارون ولا يبارون في الدعوة إلى الله تعالى، والسلفيون برعوا في العلم الشرعي، والإخوان المسلمون فاقوا غيرهم فيما يتعلق بالأفكار السياسية، وهذه جهود يشكرون عليها.

فالسلفيون يطالبون الفلسطينيين بطلب العلم وإصلاح عقائدهم أولًا، ولهم أدلتهم على ذلك، والإخوان المسلمون يطالبونهم بالمواجهة والمشاركة في العملية السياسية، ولهم أدلتهم، وأهل التبليغ يطالبونهم بالخروج معهم والدعوة إلى الله وبعد ذلك دعوة اليهود، ولهم أدلتهم أيضًا.

والشباب في فلسطين استجابوا لكل هذه الدعوات: فطلبوا العلم، وأصلحوا عقائدهم، ومنهم من جاهد، وقام بالعمليات الاستشهادية، وآخرون شاركوا في العملية السياسية، وانتخبوا لرئاسة الحكومة، ومنهم من قام بالدعوة إلى الله والخروج في سبيل الله، ومع ذلك كله حال تفرق جهودهم وتشتت آرائهم دون تحرير أرضهم ولم يستطيعوا تحقيق النصر على أعدائهم اليهود، الذين يسومونهم سوء العذاب.

ولعل في هذا ما يفسر لنا قلة تأثير وجدوى هذه الجهود الكثيرة التي تقوم بها الجماعات الإسلامية منذ أمد طويل؛ وكأن بركة الوقت قد نزعت من زمنهم.

بركة الوقت

إن من يرصد بدء ظهور الحركات أو الجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة الفكرية الآن يجد أن مدة دعوة السلفيين للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب إلى الآن قد بلغت أكثر من ثلاثمائة وثلاثين عامًا.

ودعوة الإخوان والتبليغ قد بلغت أكثر من ثمانين عامًا، ومع ذلك فإن جهود كل من هذه الجماعات لم تؤت ثمارها رغم طول الوقت إذا ما قارناه مثلًا بزمن النبوة الذي أثمر عن قيام الدولة الإسلامية الفتية التي قادت البشرية إلى طريق الهداية، وأخرجتهم من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى.

فقط ثلاث وعشرون سنة

إن مدة دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاث وعشرون سنة: منها ثلاث عشرة سنة مكية، قامت على إثرها الدولة الإسلامية دون أي مواجهات تذكر، ودون أي انقلابات عسكرية سوى الصبر والتحمل.

ومنها عشر سنوات مدنية، كانت انطلاقة الفتوحات الإسلامية، وفيها دخل الناس في دين الله أفواجًا، وخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وهكذا اجتهد الرسول عليه الصلاة والسلام وأقام في فترة وجيزة جدًّا دولة الإسلام بكلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ التي خرجت رجالًا عرفوا الحق، وعرفوا كيف ينتصرون له، ولم يشغلوا أنفسهم بصادرات الفرس وواردات الروم، وكم عدد المسلمين في مكة؟ وكم عدد المشركين في العالم؟ وكم عدد المتعاطفين مع المسلمين؟ وكم عدد جبال الطائف ونخل المدينة؟ وكيف اقتصاد أهل مكة؟ وما كمية الحبوب

التي ينتجها مزارعو مكة؟ وكيف نقوم بعمل بحث عن العاطلين في مكة والمثقفين وغير المثقفين؟ وكم عدد الصفحات التي كان يقرؤها عبد الله بن مسعود وكبار الصحابة رضي الله عنهم يوميًّا من الأمور التي ينشغل بها المسلمون اليوم، ويعدونها علمهم وعملهم، ومدار بحثهم، وهم لا يجنون منها ثمرة، ولا يحصلون من ورائها على فائدة... إلى آخر ما نسمع ونقرأ كل يوم.

الدعاء هو العبادة

إن هذه القشور التي اهتم بها مسلمو اليوم، كانت من أهم العوامل التي حولت المسلمين من دورهم الإيجابي إلى دور التابع السلبي، الذي لا يملك شيئًا إيجابيًّا سوى الدعاء، فها هم المسلمون في مساجدهم، وفي حرم مكة، والمدينة، والقدس ونحن منهم، يتضرعون إلى الله ويدعونه «اللهم عليك باليهود، فإنهم لا يعجزونك، ورد المسجد الأقصى من الغاصبين المعتدين»، وهذا من عشرات السنين وما حدث شيء سوى أن ضاعت فلسطين وتطورت قوات المعتدين بشكل مخيف، ونحن نزداد ضعفًا وتقهقرًا إلا في وسائل إعلامنا، وكل يوم تؤخذ أرض أخرى من أراضي المسلمين حتى قيلت طرفة مضحكة مبكية: (نتمنى ألا يدعو أئمة المساجد في العالم على اليهود في رمضان يومًا واحدًا فقط لعل المعادلة تتغير ويضعفوا لأننا ندعو عليهم فيشتدّ عودهم، ونحن نضعف).

ونحن بالطبع لا نهون من أمر الدعاء ولا ينبغي لأحد أن يفهم من كلامنا ذلك؛ فالدعاء من أهم ما يجب على المسلم أن يحرص عليه، وهو من أجل العبادات والقرب، بل الدعاء هو العبادة نفسها، ولكن القصد

هاهنا أن المسلمين يتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء، وهم على حال لا يستحقون منها استجابة هذا الدعاء، كمن يدعو الله، ومطعمه من حرام ومشربه من حرام، وملبسه من حرام، فأنى يستجاب له.

بل إن المتابع للأدعية في أيام الجمعة، وفي رمضان يعلم لماذا لا يستجاب دعاؤنا، فمن الأدعية المشهورة مثلاً على ألسنة الأئمة (اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك)، وأنت إذا نظرت في أحوال المسلمين تعلم مسبقًا أنهم أهل معصية إلا من رحمه الله، ومن ثم يكون دعاؤهم السابق عليهم لا لهم، وكذلك من الأدعية الشائعة على ألسنة المسلمين: (اللهم اخذل من خذل الإسلام)، فهل نحن خذلنا الإسلام أم نصرناه؟

الإجابة بلا شك أننا خذلنا الإسلام،
ومن ثم يكون الدعاء علينا لا لنا!!؟

الحضارة

يرى كثيرون أن الحضارة هي سبب الانتصار والتقدم إلى الأمام، لكن الواقع أننا نحن المسلمين لم نجد في الحضارة كبير فائدة تذكر.

بل وجدنا أنها أضرت أكثر مما أفادت؛ لأننا رأينا كثيرًا من الناس تعلقوا بهذا المصطلح، وفهموا أن النهوض والتقدم إسلاميًّا لا يكون إلا بوجود حضارة، فجاءت الحضارة عندهم أولًا، وجاء الإسلام ثانيًا، وكثيرًا ما نسمع عن حاجة الأمة إلى مشروع حضاري للنهوض، ولا شك أن أصحاب هذه الدعوة مأجورون بإذن الله تعالى إذا حسنت النية، ولكن للأسف فإن كثيرًا ممن انشغلوا بقضية الحضارة قد درسوا، وتربوا في دول أوروبا وتأثروا بعاداتها، ومنهم من قرأ تاريخ الأوروبيين، فربط بين نهوضهم ونهوض المسلمين، ولكن فاته أن هناك فرقًا كبيرًا بين نهوضهم ونهوضنا؛ لأن نهوضهم مرتبط بترك دينهم المحرف، ونهوضنا مرتبط بالعودة لديننا المصون، والمحفوظ من عند رب العالمين، وهذه هي النقطة التي يجب علينا جميعًا التنبه لها.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٦).

تعريف الحضارة

بالإضافة إلى ما سبق؛ فإنه مما يزيد المسلم أسفًا أن مفهوم الحضارة عند كثير من المسلمين قد صار مقصورًا على ناطحات السحاب والطائرات والإلكترونيات والعري...إلخ وقليل من الناس من يفهم الحضارة على أنها تخطيط، وتنظيم، وأخلاق، كما يردد بعض الداعين لهذا المصطلح.

ثم إن هذه القلة التي تفهم الحضارة على أنها تخطيط وتنظيم تغالي في الأمر مغالاة شديدة؛ حتى يطغى عندها أمر التخطيط على الإيمان، مع أن العكس هو الأجدر بالمسلم، وتاريخ المسلمين خير شاهد على ذلك.

فقد انهزم جيش المسلمين في غزوة حنين على الرغم من كثرة جنودهم، وحسن تنظيمهم، وكذا السبب الرئيسي في الهزيمة هو العجب كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (التوبة: ٢٥).

وغزوة بدر حسمت بنزول الملائكة وليس بسبب التخطيط، وفي هذا ما يدل على أن النصر والغلبة لا تتوقف على التخطيط فحسب، وإنما لابد من الإيمان، ثم التخطيط والتنظيم.

وعلى هذا النحو ينبغي أن يفهم المسلمون الحضارة: هي حسن إيمان ثم تخطيط وتنظيم ينعكس على نمط الحياة؛ ليجعلها كما قال ابن خلدون في تعريفه للحضارة في مقدمته: «نمطًا من الحياة المستقرة، ينشئ القرى والأمصار، ويضفي على حياة أصحابه فنونًا منتظمة من العيش، والعمل، والاجتماع، والعلم، والصناعة، وإدارة شئون الحياة والحكم، وترتيب وسائل الراحة، وأسباب الرفاهية»(١).

وفي ضوء ذلك نتمنى من هؤلاء الإخوة المشغولين بقضية الحضارة البعد عن هذا المصطلح في النهوض بالأمة حتى لا يربطوا الناس بغير (لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ) التي كانت سبب عز العرب، وانتصارهم على أصحاب الحضارة، فصارت الحضارة تابعة للإيمان؛ لأن الإيمان هو المصدر الحقيقي للقوة، كما يفهم من قول أحمد أمين في فجر الإسلام: «وإذا كانت هذه الأمم المفتوحة أرقى من العرب مدنية وحضارة وأقوى نظمًا اجتماعية، كان من الطبيعي أن تسود مدنيتهم وحضارتهم ونظمهم، وإذا كان العرب هم العنصر القوي الفاتح، عدلوا هذه النظم بما يتفق وعقليتهم، فسادت في البلاد المفتوحة النظم التي كانت متبعة من قبل

(١) مقدمة ابن خلدون، ص (٢٢) بتصرف.

الفتح، كنظام الدواوين ونحوه، وأقر على ما كان عليه، حتى لغة الدواوين نفسها ظلت باللغة الأصلية إلى عهد عبد الملك بن مروان».

ثم إنه مع مرور الأيام تحققت تبعية الحضارة والمدنية للإيمان وتحقق للعرب النصر الديني واللغوي، وفي ذلك يقول أحمد أمين، في موضع آخر من فجر الإسلام: «والحق أن العرب وإن انخذلوا في النظم السياسية والاجتماعية، وما إليها من فلسفة وعلوم، ونحو ذلك، فقد انتصروا في شيئين عظيمين: اللغة والدين: فأما لغتهم، فقد سادت هذه الممالك جميعها، وانهزمت أمامها اللغات الأصلية للبلاد، وصارت هي لغة السياسة، ولغة العلم، وظل هذا الانتصار حليف العرب في أكثر هذه الممالك إلى اليوم، وكذلك الدين، قد ساد هذه الأقطار، واعتنقوه، وقل من بقي من سكان هذه البلاد على دينه الأصلي».

المرحلة أو الحياة المكية

إن من يتأمل أحوال المسلمين الآن يجد أنه لا يوجد في العالم الإسلامي حياة مدنية، بل نعيش الآن حياة مكية (بحتة)؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام عاش مرحلتين أو حياتين:

المرحلة الأولى: مكية، وهي بداية الدعوة ثلاثة عشر عامًا.
والمرحلة الثانية: في المدينة؛ وتسمى الحياة المدنية وهي عشرة أعوام.

وقد اتسمت المرحلة الأولى المكية بعدم وجود دولة للمسلمين، مع قلة عددهم وضعفهم، وتميزت المرحلة الثانية المدنية بقوة المسلمين مع وجود دولة إسلامية يقودها الرسول عليه الصلاة والسلام.

ومن يسمع الخطباء والغيورين الآن وهم يطرحون قضايا المسلمين- وعلى رأسها قضية فلسطين التي يعدونها ثغرًا من الثغور- يتصور أن المسلمين يعيشون حياة مدنية كالتي كانت في عهد النبي ﷺ أو في عصور قوة الإسلام ومجده، ولم يبق إلا أن يؤمر بتحريك الجيوش لرد الحقوق إلى أهلها.

ولكن ما إن يتأمل المرء الصورة التي لا نحسد عليها الآن فسوف يجد أن فلسطين محتلة احتلالاً رسميًّا ولا ينطبق عليها اسم ثغر ألبتة، وأننا في حالة يرثى لها من جميع النواحي وأنه لا قيمة لنا دولًا وأفرادًا وأن علماء المسلمين لا قيمة لهم تُذْكَرْ في دولهم ناهيك عن دول غيرهم، وشباب المسلمين إذا ظهرت عليهم آثار التمسك بالدين فإن أول من يقوم بمحاربتهم أهلوهم قبل حكوماتهم وأول من يمد يد العون للمحتلين ويتنافس لحمايتهم هم المسلمون أنفسهم، فيساعدون أعداءهم على إخوانهم في واقع مختل وحاضر مهين.

وكل هذا الذي ذكرناه يدل دلالة واضحة على أننا نعيش مرحلة مكية بحتة، وعلينا جميعًا أن نتعامل في هذه الفترة، ونعيش، ونتعايش بالمصطلحات الفقهية المكية، ومن أكبر الأخطاء أن نتعامل مع الظروف الراهنة بالحياة المدنية.

وجميع الآراء التي ذكرناها في هذا البحث من منطلق الحياة المكية، وليس الحياة المدنية.

ثقافة يجب البعد عنها

تسيطر ثقافة العداء الآن على معظم المسلمين تجاه اليهود خاصة؛ حتى إن المسلم غالبًا لا يطيق معاملة اليهودي لمجرد أنه يهودي، ومن هذا ما يحكى عن أحد أئمة المساجد: أنه سافر إلى كيب تاون بجنوب أفريقيا قبل سنوات، وسكن في مسكن تملكه امرأة يهودية في السبعين من عمرها تقريبًا، ومكث في هذا المنزل ثلاثة أيام، وعندما علم أن هذه المرأة يهودية، غادر المسكن مباشرة، على الرغم من احترام هذه المرأة له.

وعندما جلس هذا الإمام مع نفسه قال: أما كان أجدى لي أن أبين لها محاسن الإسلام، وأطمع في إسلامها كما كان يفعل الرسول ﷺ أفضل من هذا الهروب الذي لا يليق بمسلم، فضلًا عن طالب علم؟!

وفي رأيي أن كل مسلم عاقل لو فكر في المسألة بموضوعية، لوجد أن الشيخ محق في لومه لنفسه، وأنه لو دعا هذه المرأة إلى الإسلام وبين لها محاسنه، لكان أجدى وأنفع، وكان بهذا مقتديًا بالرسول ﷺ الذي كان يتوجه بالدعوة إلى ألد أعدائه، ويطمع في إسلامهم وهدايتهم.

ومما يشهد لذلك: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي رضي الله عنه يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد، كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك، أو زنى، يلقى آثامًا، فيضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا! وأنا صنعت ذلك، فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٧٠)، فقال وحشي: يا محمد، هذا شرط شديد ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ فلعلّي لا أقدر على هذا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء: ٤٨)، فقال وحشي: يا محمد، هذا أرى بعد مشيئة، فلا أدري هل يغفر لي أم لا، فهل غير هذا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣)

قال وحشي: هذا نعم، فأسلم، فقال الناس: يا رسول الله، إنا أصبنا ما أصاب وحشي، قال: هي للمسلمين عامة»[1].

وفي حديث الإسراء الذي في الصحيحين:

«أن رسول الله ﷺ لما مر بآدم، وهو في السماء الدنيا، قال له: مرحبًا بالابن الصالح، والنبي الصالح، قال: وإذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى،

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/١٩٧) حديث رقم (١١٤٨٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/٤١٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٥١٥)، وقال: رواه الطبراني وفيه أبين بن سليمان وهو ضعيف.

فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا آدم، وهؤلاء نسم بنيه، فإذا نظر قبل أهل اليمين، وهم أهل الجنة ضحك، وإذا نظر قبل أهل الشمال، وهم أهل النار بكى»[1].

فهذان الحديثان يؤكدان حرص الرسول ﷺ على هداية كل البشر؛ حتى إنه لا يمل ولا يكل من دعوة قاتل عمه، الذي كان من أحب الناس إليه، وحزن ﷺ بمقتله حزنًا شديدًا، ومع ذلك فهو يحرص على دعوة قاتله إلى طريق الحق لينقذه من براثن الشرك.

وها هو أبونا آدم عليه السلام يبكي حزنًا وإشفاقًا على كل من دخل النار من بنيه.

وخلاصة الأمر: إن السنة المحمدية ترفض ثقافة العداء، وتأمرنا بدعوة مخالفينا، والشفقة عليهم، ولكن بعض الشباب الغيورين يصرون على ثقافة العداء ويدعون إلى لعن المخالفين وتفجيرهم، ولا شك أن السنة النبوية المطهرة مقدمة على الجميع..

---

(١) أخرجه البخاري (٧/٢٤١) كتاب مناقب الأنصار، باب: المعراج (٣٨٨٧)، ومسلم (١/١٤٩، ١٥٠، ١٥١) كتاب الإيمان، باب: الإسراء (٢٦٤ ١٦٤).

رأي في حركات التحرر

التقينا ببعض الأخـوة العرب المسلمين، وفهمنا من كلامهم: أنهم يبحثون عن عمل خارج بلدانهم، وأن كثيرًا من مواطنيهم يعملون في فرنسا، ويتمنى كثير من أهل هذه البلاد أن يحصلوا على فرص عمل أخرى في فرنسا... وفي غيرها.

قلنا: سبحان الله!! قدمت الجزائر مليون شهيد لإخراج الفرنسيين منها، وبعد أن خرجت فرنسا يذهب الجزائريون أنفسهم الآن إليها بكل عناء ومشقة ليبحثوا عن عمل لدى الفرنسيين، وهكذا الأمر في معظم الدول العربية التي كانت مستعمرة بعد أن خرج المستعمر منها ونجح أهلها في تحريرها كما قالوا ضعف الأمن والاقتصاد وقلت فرص العمل في هذه الدول المحررة، وصار أبناء هذه الدول يقفون طوابير أمام سفارات الدول التي كانت تحتل بلادهم؛ للحصول على تأشيرات عمل للذهاب إليها بعد أن جاهدوا سنوات عديدة لإخراجها من أوطانهم، بل إن الأخطر والأكثر فزعًا من ذلك أنك تجد بعض المسلمين يهاجرون بنسائهم وأطفالهم إلى هذه الدول، مع أن الهجرة إليها محرمة بنص القرآن والسنة.

أما كان أجدى بأبناء هذه الدول الضعيفة أو الفقيرة أن يتركوا هؤلاء المحتلين الذين احتلوا بلادهم فيعملوا لديهم ويستفيدوا من خبراتهم ليعمروا أوطانهم وينشروا إسلامهم حتى يقوى عودهم، أما كان هذا خيرًا لهم من أن يقدموا أبناءهم قرابين لما يسمى بالتحرر وطرد المحتل، وإخراجه من البلاد، مع أن هذا المحتل – في الحقيقة لم يخرج، لأنه ذهب وترك أفكاره وثقافته ومن يحكم باسمه وأمره.

أي: أن الأصل قد خرج، وبقيت الصورة، والصورة كما هو معلوم لا تنفع، ولا تضر، ولو بقي الأصل لنفع أكثر مما أضر.

وسؤال أخير: هل الإسلام اشتد عوده في هذه الدول بعد خروج المستعمرين؟ وهل أخذ المواطنون شيئًا من حقوقهم، أم لا؟!.

الواقع أن أحوال جميع الدول المحررة ترجح الإجابة بالنفي، بل إن المرء يلاحظ بالنظر إلى تصرفات بعض المسلمين أنهم يرجون من أعدائهم أن يحتلوا أرضهم مرة أخرى، فلماذا هذه التضحيات.. إذًا!!!؟؟ وهذا الأمر يجعل المسلم يستوعب حياة الرسول في مكة، ويكشف عن الحكمة في عدم مواجهته ﷺ للمشركين في بداية الأمر؟ وهذه الحالة التي صارت إليها الدول المحررة في نظرنا سببها أنه:

«إذا لم يكن هدف الأمة في مقاومتها وقتالها أن تكون كلمة الله هي العليا، فما الفرق بيننا وبين غيرنا؟».

نعلم أن كثيرين سيغضبون من هذا الرأي؛ ولكننا سنتراجع عنه إذا ظهرت لنا نتائج تناقض رأينا، وتؤكد لنا خلافه.

الإيدز

ويعرف هذا المرض (الإيدز) طبيًّا بأنه: نقص المناعة المكتسبة، أي: أنه يدمر مناعة الجسم، فلا يستطيع مواجهة أي مرض يدخل إليه، حتى إن كان هذا المرض بسيطًا يسهل علاجه؛ لأنه لا يوجد مقاومة داخلية، تستطيع المواجهة.

ويبدأ الفيروس بالقضاء على جهاز المناعة بشكل متزايد إلى درجة قد يموت فيها الشخص المصاب من الرشح.

ولو أن طبيبًا ماهرًا حاول أن يعالج مريضًا بالإيدز من أبسط الأمراض التي عادة ما تصيب الإنسان، لصعب ذلك؛ لأن المشكلة كامنة في مناعة الجسم، وليست في هذا المرض الدخيل.

ويمكن هنا أن نقول: إن ابتعاد المسلمين عن دينهم هو الإيدز الذي أصيبوا به، فحطم جهاز مناعتهم وتوالت عليهم الأمراض والخلل في الاقتصاد، والمال، والسياسة.. إلخ؛ ولهذا فإنك عندما تسأل بعض المخلصين عن انتصار، أو سقوط العالم الإسلامي، تجدهم يسألونك سؤالاً آخر: ما هو نوع الانتصار الذي تسأل عنه، هل هو انتصار

عسكري، أم اقتصادي، أم علمي، والسقوط مثل ذلك!؟.

وتجد كثيرًا من الكتب والأشرطة الموجودة في الساحة توضح أمورًا كثيرة تخلف فيها المسلمون، ويستدل أصحاب هذه الكتب والأشرطة بأمثلة كثيرة على ما يقولون، منها: اقتصاد العالم الإسلامي، صادراته، ووارداته، مقارنة باقتصاد هولندا، أو اليابان، أو الصين... أو غيرها من الدول.

وهذا الطرح لقضايا العالم الإسلامي يصرف أنظار المسلمين عن مشكلتهم الحقيقية، ويؤصل لدى كثير منهم أن المشكلة الأولى سببية، وليست دينية مع أن العكس هو الصحيح: الدين هو الأساس، والدنيا وأسبابها تبع له، وحديث تأبير النخل صريح في هذا الأمر:

فقد أخرج مسلم في صحيحه «حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد عن ثابت عن أنس قال: سمع رسول الله ﷺ أصواتًا، فقال: ما هذا؟ قالوا: يلقحون النخل، فقال: لو تركوه فلم يلقحوه، لصلح، فتركوه، فلم يلقحوه، فخرج شِيصًا، فقال النبي ﷺ: ما لكم؟ قالوا: تركوه لما قلت، فقال رسول الله ﷺ: إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به، فإذا كان من أمر دينكم فإليَّ»[1].

---

(١) عن طلحة بن عبيد الله.

أخرجه مسلم (١٨٣٥/٤) كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ (٢٣٦١/١٣٩) وأحمد (١٦٢/١، ١٦٣)، وابن ماجة (١٠٧/٤) كتاب الرهون، باب: تلقيح النخل (٢٤٧٠)، وعبد بن حميد (١٠٢)، وأبو يعلى (٦٣٩)، والبزار (٩٣٧) و (٩٣٨) وعن عائشة وأنس بن مالك، وأخرجه مسلم (١٨٣٦/٤) (٢٣٦٣/١٤١)، وأحمد (١٢٣/٦)، وابن ماجة (٢٤٧١)، وأبو يعلى (٣٤٨٠) و(٣٥٣١) وابن حبان (٢٢).

وعن رافع بن خديج:

أخرجه مسلم (١٨٣٥/٤ ١٨٣٦) (٢٣٦٢/١٤٠).

فهذا الحديث صحيح وواضح، ولا يحتاج لهذا الجدل الطويل بين من يصححه ويضعفه من العلماء وطلبة العلم، فهذا الإرث النبوي الذي يدل على جوامع الكلم التي منحها الله عز وجل للنبي عليه الصلاة والسلام يدل دلالة واضحة على أن الدنيا وما فيها لا قيمة لها عندما تقارن بالآخرة، وبناء على ذلك نقول: إن الجهود المطلوب بذلها وتقديمها على غيرها هي جهود عودة المسلمين إلى دينهم وتعمير الدنيا من أجل الآخرة لتكون الأولى مزرعة للآخرة، وليكون الإنسان خليفة الله في أرضه حقًّا، يعمرها بحسب المنهج الإلهي الذي شرعه له خالقه الخبير به، والعليم بما يصلحه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤).

الدولة

قالوا في تعريف الدولة: إن لها ثلاثة أركان: أرض، شعب، سلطة، وفي رأينا أن الدولة الإسلامية لا تكتمل أركانها بهذه الثلاثة؛ وإنما لا بد لها من ركن رابع؛ لتصير أربعة أركان:

١- أرض.

٢- شعب.

٣- خليفة (سلطة).

٤- علماء ربانيون.

وهذا الركن الرابع هو أهم الأركان في الدولة الإسلامية؛ لأن العلماء هم الذين يوجدون الدولة، ويعينون الخليفة، ويحافظون على وحدة الصف، ولمِّ الشمل.

ومما يؤسف له أشد الأسف أن المسلمين الآن لا يمتلكون من أركان الدولة سوى ركني الأرض والشعب؛ فنحن لا نملك الحكام المسلمين لأنهم لا يسمعون آراءنا ونصائحنا، ولا نملك جيوشًا إسلامية قوية، ونرجو أن يعفينا الله سبحانه وتعالى من القتال؛ لأننا أقرب ما نكون

إلى الحياة المكية كما أسلفنا، والحياة المكية كما هو معلوم شرع فيها جهاد الدعوة، ومنع فيها جهاد القتال، وحياة المسلم جهاد دائم وهذه سنة الله في الأرض حتى تتهيأ الظروف، يقول سبحانه وتعالى في سورة الفرقان: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ أي: القرآن، وهذه آية مكية نزلت على النبي عليه السلام تأمره بجهاد الدعوة؛ لعدم وصول المسلمين لمرحلة المواجهة في ذلك الوقت، وفي الحياة المدنية شرع القتال إضافة إلى الدعوة.

وإذا كنا لا نملك الحكام، فهل لا نملك العلماء أيضًا؟! إن المسئولية الكبرى كما نرى تقع على علماء الشريعة، فليتهم ينهضون بدورهم ويكونون ركنًا ركينًا في دولة الإسلام، فبهم إن شاء الله تستكمل دولة الإسلام أركانها، وتمتلك حكامها.

لا يكلف اللّه نفسًا إلا وسعها

إذا لم يكن للمسلمين دولة حقيقية الآن، فليس معنى هذا أن يتكاسل المسلمون، ويتقاعسوا بل العكس هو الصحيح: عليهم أن يكونوا شعلة نشاط وكفاح؛ لإقامة دولة الإسلام الحقيقية، والحمد لله فإن الشرع الحنيف لم يتركنا في حيرة من أمرنا في هذا الشأن، وإنما نظم لنا الأمور على أحسن نظام، ووجهنا أروع توجيه؛ فمن لم يستطع أن يجاهد جهادًا منظمًا تحت إمرة حاكم مسلم؛ لعدم وجود دولة تحمل هذا الهم فعليه القيام بدعوة العاصين تحت إمرة العلماء، وعليه أن يصلح نفسه ومجتمعه وهي أعمال من أعظم الأعمال الصالحة حتى ينطبق علينا قول الله عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥).

وهذا وعد من رب البشر سبحانه، وليس من أحد من البشر بإعطائك مقعدًا في البرلمان أو غيره.

وإذا قامت الأعمال الصالحة في الأمة، سوف تتدخل قدرة الله مباشرة، وترى قوة الله وقدرته.

قوة اللّه

على المسلم أن يؤدي ما عليه؛ فيأتمر بأوامر الله تعالى، وينتهي عما نهى عنه، ويثق في نصر الله تعالى، وأما كيفية هذا النصر الذي ينصر الله تعالى به عباده الموحدين الصالحين المصلحين في الأرض، فهذا ليس لنا دخل فيه، فقد يهدي الله الحكام أو يأخذهم أو يهدي رئيس أكبر دولة أو يشغل الكفرة عن المسلمين بقدرته بالزلازل أو بسيل العرم (تسونامي)، كما حدث في إندونيسيا، أو بريح صرصر عاتية، أو أنفلونزا الطيور أو أنفلونزا الخنازير، أو يدخل بعوضة في أذن رئيس أكبر دولة في العالم فلا يستطيع أن ينام حتى يضرب بالحذاء من جنوده حتى يموت؛ كما فعل الله سبحانه بالنمرود عندما دخلت البعوضة في منخره؛ وكان لا ينام حتى يضربه جنوده بأحذيتهم، وقيل: إنه لم يكن يعرف الراحة حتى يضرب، وجلس على هذا الحال أربعمائة سنة، عذبه الله بها حتى مات[1].

---

(١) المحرر الوجيز (٤/٨٩)، تفسير القرطبي (١١/٣٠٥).

وخلاصة القول: إن سبل الله في الانتصار لعباده الموحدين الصالحين المصلحين لا تحصى ولا تنفد، وهي ليست في مقدورنا ولا من شغلنا، وإنما الذي يجب أن يشغلنا هو أن نكون حقًّا موحدين صالحين مصلحين، فإن هذا ما علينا، وهو ما يجب أن يشغلنا، ثم نتوكل على الله، ونترك ما عليه عليه؛ لينصرنا سبحانه بأي طريقة شاء، وينصر دينه وأهله.

الحاكم

الملاحظ الآن: أنك لا تفتح حديثًا عن سبب تخلف المسلمين وتدهور أحوالهم إلا وتجد الغالبية من الناس يلقون بالمسئولية على الحكام، ويحملونهم مسئولية سقوط المسلمين، وقد يستغل البعض ذلك؛ فيدعو إلى الخروج على الحكام مع أنه لا يصح، ولا يجوز؛ لأن الله أمرنا بطاعة الحاكم ولو كان فاسقًا، وهؤلاء يغفلون أو يتناسون أنهم أنفسهم من أهم أسباب سقوط المسلمين، وأن سنن الله في الأرض أن نبدأ من القاع لا من النخاع، وهذه نقطة في غاية الأهمية فلو صَلُحَ حال الرعية، لصلُح حال حكامها وإذا رفض الحاكم نصيحة الإسلاميين كما يقال، فهذا دليل قاطع على أن الخطأ في الإسلاميين أنفسهم، وأول هذه الأخطاء الاختلافات التي بينهم، وعدم قبول مناهجهم لدى الغالبية العظمى من أبناء الشعوب الإسلامية، لأن الإسلاميين إن صحت التسمية لم يقدموا الإسلام للأمة كما أنزل، بل يقدم الدين بطريقته الخاصة، وكل مصرّ على أن طريقته هي الصحيحة وكثير من المسلمين يريدون الدين بهواهم ويحبون الإسلام بالعواطف فقط.

والمتأمل يرى العجب العجاب، منذ فترة ليست ببعيدة قام الجيش الصهيوني بدخول بعض القرى الفلسطينية، وتقتيل كل من قابلهم، واستمر الحال على ذلك أيامًا، والإعلام يعرض الصور، فثار الناس في الشوارع ففرحنا بخروج هذه الأعداد من الناس، ولا تجد دولة إلا وقامت بها مظاهرات، وفعلًا لوحظ خروج الصهاينة من هذه القرى، وعاد الهدوء.

وبعد أيام قلائل: كان هناك مسابقة غنائية فخرج من أجلها أضعاف الذين خرجوا من أجل ما كان يحدث في فلسطين.

وعلينا أن ننظر بعين الإنصاف إذا تقابل منتخبا كرة قدم في كأس العالم، أو حتى في بطولة قارية، كم من الأعداد ستخرج لمشاهدة هذا اللقاء، وإذا حقق منتخب عربي، أو مسلم بطولة من بطولات الكرة، أو في أي منافسة من المنافسات الرياضية، كم من الأعداد ستخرج احتفالًا بهذا النصر في رأيهم؟ إنك بلا شك سوف تجد أعدادًا تفوق الأعداد المهتمة بقضايا الأمة أضعافًا مضاعفة[1]؛ وهكذا صار حال الأمة، ومع ذلك لا تجد أحدًا يحمل نفسه مسئولية سقوطها وتخلفها؛ ويجعلون الحكام شماعة يعلقون عليها هذا السقوط.

---

(١) مثل ما حدث بين مصر والجزائر في التصفيات المؤهلة لكأس العالم سنة ٢٠٠٩م.

اختيار

إن طبيعة الحضارة المعاصرة قد سيطرت على عقول أكثر المسلمين، وجعلتهم يقيسون الأمور بالمقاييس المادية؛ حتى إنه لو قال قائل مثلاً: إن جيش الصومال غزا أو احتل دول أوروبا، وهو الآن على حدود أمريكا لما صدقناه؛ لأن الصومال بمفهومنا لا تمتلك أسبابًا تؤهلها لهذا الأمر، لأن درجة التحضر عند الصومال ضئيلة، ولو نسبت الدعوى السابقة إلى دولة إسلامية أكثر تحضرًا مثل ماليزيا لكان الأمر أكثر قبولاً، وهذا صحيح في مفهوم الحضارات غير الإسلامية، أما من الناحية الإسلامية فإن الله تعالى قد يختار الصومال لنصرة دينه ويترك ماليزيا، أو غيرها من الدول الأكثر تحضرًا، وهذا ما حدث مع النبي الكريم ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أجمعين عندما اختارهم الله تعالى لهداية البشرية وترك من سواهم، ولذا يجب على المفكرين والكتاب أن يوضحوا ويبينوا للناس أن فلاحهم وفوزهم وانتصارهم إنما يكون بعودتهم إلى دينهم فقط لا غير، لا بتقدم ولا بتأخر، ولا بغير ذلك حتى لا يصابوا بإحباط كما هو حاصل الآن.

وأسوتهم في ذلك النبي ﷺ فإنه لم يربط الصحابة الكرام، عندما بدأ بدعوتهم في مكة بحضارات، وجيوش، وعدد، وعدة فارس، ولا الروم، بل ربطهم بقدرة الله وقوته، وعزز ثقتهم في دينهم ونبيهم ﷺ.

ولو تكلم النبي ﷺ عن حضارة وقوة الدول المجاورة لهم في ذلك الوقت عشر ما نتكلم عنه الآن، لما انتصروا ولما خرجوا من الجزيرة العربية. وهذا يدعونا للتأمل: لماذا دعا النبي ﷺ ربه - عز وجل أن يعز الإسلام بأحد العمرين وليس بالروم أو الفرس، فاختار الله سبحانه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي فتح الله على يديه الحضارتين في ذلك الوقت مع أن عمر رضي الله عنه لم تكن تنطبق عليه مظاهر الحضارة، وقد رفض الإسلام بداية، حتى هم بقتل الرسول ﷺ، ولكنه نصره نهاية. وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا نربط تقدم المسلمين الآن ونجاحهم وفلاحهم بأسباب مادية فحسب، وننسى أن الفشل الذي حل بنا سببه الأساسي البعد عن الله عز وجل؛ ومن ثم فالواجب علينا: أن نعود إلى ربنا أولًا، ثم بعد ذلك نأخذ بأسباب الحضارة المادية؛ متوكلين على الله تعالى حق التوكل؛ وعندئذٍ سيتحقق لنا ما نريد، كما قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا، وتروح بطانًا»(١).

(١) أخرجه الترمذي (٥٧٣/٤) كتاب الزهد، باب: في التوكل على الله (٢٣٤٤)، وابن ماجة (١٣٩٤/٢) كتاب الزهد، باب: التوكل واليقين (٤١٦٤)، والحاكم في المستدرك (٣١٨/٤).

أزمة عمل

إن أزمة العالم الإسلامي اليوم أزمة عمل لا أزمة تحضر وتخطيط وتنظيم، والعمل المراد هنا هو العمل الديني: المتمثل فيما سبق التنبيه عليه من الرجوع إلى الدين والأخذ بالأسباب والتوكل على الله تعالى، فهذه هي أسباب التمكين في الأرض، وليس مجرد التحضر والتخطيط، ومن أراد شاهدًا على ذلك، فإن المسلمين في أول الأمر كان بينهم أهل الصفة، وكان عددهم سبعين تقريباً ويسكنون في مسجد الرسول عليه السلام وليس لديهم مال، ولا عمل، ولا شهادات كمبيوتر، ويتساقطون من شدة الجوع في الصلاة، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول لهم: «لو تعلمون ما أعد الله لكم يوم القيامة، لتمنيتم أن تزدادوا فاقة أي: فقرًا فوق فاقتكم»[1]، وهذه ليست دعوة لترك العمل، ولكنها لتوضيح أن العزة والتمكين تكون بالالتزام بالدين أولًا، ولكي نرد على من يرسخ في الأذهان أن سبب سقوط الأمة أنها لا تجيد التخطيط، مع العلم أن معركة حنين كان سبب الهزيمة فيها العجب وليس سوء التخطيط على ما سبق

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٨/٦) (٢٤٤٣٥)، والتِّرْمِذِي في السنن برقم (٢٣٦٨)، وابن حبان في صحيحه (٥٠٢/٢) حديث رقم (٧٢٤).

بيانه، فلماذا نضخ في المسلمين أننا لن ننتصر إلا إذا امتلكنا جيوشًا جبارة وأسلحة فتاكة، حتى أصاب المسلمين حالة من التبلد فصار بعضهم ينتظر المهدي المنتظر، وعكف بعضهم على متابعة التلفاز والمسلسلات ولا يعنيه الأمر في شيء، وصار بعضهم عاكفًا على مناهج الحضارات كما يقال، والذين ملوا من هذه المناهج ذهبوا مع الذين يفجرون ويقتلون لعل القتل والتفجير يحققان لهم ما يريدون، وهما لن يحققا شيئًا سوى الخراب والدمار.

وعلاج ذلك كله أن نضخ الإيمان في القلوب بدلًا من الترهات السابقة؛ ليعمل الناس في ضوء الهدي الرباني، الذي به صلاحهم وفلاحهم.

جيش عرمرم

إذا كان حديثنا عن أهل الصفة لم يرق للمفتونين بالتحضر والتخطيط والرؤى الاستراتيجية، فلنضرب لهم مثلًا آخر شهده الجميع وعاينوه: وهذا المثل هو: صدام حسين الذي كان يملك جميع الأسباب المادية التي يرى أصحاب الرؤى الاستراتيجية أنها سبب للتمكين والعزة، فكان لديه جيش عرمرم، وأسلحة فتاكة، وأموال طائلة، وإدارة قوية، والذي يشكك في ذلك، ويقول: صحيح أن صدامًا كان لديه المال والجيوش والأسلحة، ولكنه لم يملك إدارة قوية، فلينظر الآن العالم بأسره لم يستطع أحد أن يدير العراق بعد سقوطه رحمه الله، فهل هناك أقوى من هذه الإدارة، وهل كان صدام يدير البلاد بقبضة من حديد، وهو لا يملك رؤية استراتيجية؟ مع العلم أن الأمريكان دخلوا العراق برؤية استراتيجية أيضًا ولم يفلحوا فيما أفلح فيه صدام في السيطرة على العراقيين بطوائفهم المختلفة.

ولنترك صدامًا جانبًا ونتساءل:

هل من الحضارة وحسن التخطيط أن تجعل الناس يكرهونك ويفكرون ليل نهار أن يدمرك الله؟.

بالطبع سيكون الجواب: لا، وعندئذٍ نقول لك: إن هذا الذي رفضته هو سياسة الدول المتقدمة التي يقال عنها: إنها دول حضارية، فأين حسن التخطيط؟ الموضوع ليس حسن تخطيط، ولا سوء الحضارة التي يتباهى بها أصحاب الرؤى الاستراتيجية.

إذن الموضوع بالنسبة لنا نحن المسلمين هو حسنة وسيئة، طاعة ومعصية، إذا عصينا الله، سلط علينا أراذل البشر، كي يلعبوا بكرامتنا كما يشاء سبحانه، وإذا أطعناه عز وجل جعلنا نظهر على الكافرين من أسياد البشر وأراذلهم.

ولا بد أن نوضح لأنفسنا أولاً، وللأمة ثانياً أن أزمتنا نحن المسلمين هي أزمة المعصية، والبعد عن الله فقط لا غير، وليست أزمة ثقافة، ولا حضارة، ولا تقدم، ولا تأخر، ولا يهود، ولا نصارى، ولا كثرة الأسباب وقلتها، بل هي أزمة ترك منهج الله، التي بسببها ابتعدنا عن الله.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام: ٦٥).

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم: ٤١).

التفجيرات

لجأ بعض المسلمين إلى أسلوب التفجيرات غيرة على كرامة أمتهم التي تنتهك ومقدساتها التي تهان، ونحن بدورنا نتساءل: هل هذه التفجيرات تعدّ حلًّا؟.

وحتى لا نتعجل الإجابة نتأمل أولًا حال المسلمين عندما كانوا يسامون سوء العذاب في مكة، ماذا كان موقفهم؟

فقد مر النبي عليه السلام بياسر وعمّار، وأم عمّار، وهم يُؤذَونَ في الله تعالى، فقال لهم: «صبرًا آل ياسر إن موعدكم الجنة»[1]، وطعن أبو جهل سمية بالحربة في فرجها؛ فكانت أول شهيدة في الإسلام، ومات زوجها ياسر في العذاب أيضًا.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/٤٧٠) كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر مناقب عمار حديث (٥٧١٣) وسكت عنه هو والذهبي والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٣٩)، وأخرجه جماعة من الأئمة بألفاظ أخرى مقاربة، وابن سعد في الطبقات (٣/٢٤٩)، وأحمد في المسند (١/٤٩٢) حديث (٤٣٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/٥١٥٦).

ومع ذلك كله، وغيره كثير، فإن الصحابة الكرام رضي الله عنهم لم يقوموا بأي مواجهات تذكر مع مشركي مكة برغم الإيذاء الشديد الذي تعرضوا له ولم يثبت عنهم أنهم خططوا لقتل أبي جهل ولا غيره من كبار مشركي مكة مع العلم أنه كان باستطاعتهم أن يقوموا بفعل انتفاضة تزلزل مشركي مكة، ولكنهم لم يفعلوا.

والدليل على أنهم كانوا يستطيعون ذلك: أن الذين هاجروا إلى الحبشة في الهجرة الثانية كان عددهم مائة ونحن نعتقد أن مائة شخص مع المتعاطفين معهم في مكة يمثلون قوة تستطيع أن تفعل الشيء الكثير لزعزعة الأمن.

ولذا فنحن نتساءل: لماذا لم يفكر هؤلاء الصحابة في قتل صناديد قريش، إذ إنهم لو فكروا كما يفكر كثير منا الآن، لقاموا بقتل أبي جهل، وأُبَيّ بن خلف، وأبي سفيان، وربيعة، وشيبة، وعتبة، إلى آخر صناديد قريش.

والجواب الذي نراه عن هذا التساؤل: أن الاغتيالات وما جرى مجراها من التفجيرات وغيرها لا تمثل حلًا، فلن تعيد التفجيرات أو تساعد في إعادة الأراضي المسلوبة وحقوق المسلمين الضائعة، وهي سنة يهودية، وليست سنة إسلامية؛ لأنها خلاف سنة النبي عليه السلام.

وإنما قلنا: إن التفجيرات سنة يهودية؛ لأن أول من قام بالتفجيرات كما هو معلوم هم اليهود في تركيا، إذن فالتفجيرات ليست حلًّا، وإنما

الحل في الإسلام أو كما يقول البعض: «وتبعهم بعد ذلك شباب المسلمين بسبب احتلال اليهود بيت المقدس، ودخول اليهود الأراضي الفلسطينية، ومرت الأيام، وتقررت هذه النظرية أو السنة اليهودية لدى أبناء المسلمين. الإسلام هو الحل» والله إن الإسلام هو الحل، وإذا فشلت حكومة أو أي شخص في حل المشاكل التي تحيط به، فعليه أن يستغفر الله؛ لأنه تمسك بجزء من الدين، وترك جزءًا آخر ولن يكون الإسلام هو الحل حتى نتمسك به كله صحيحًا نقيًّا من البدع والمحدثات، كما أنزل على نبي الهدى عليه الصلاة والسلام.

ولن نستطيع أن نبين للناس أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان؛ حتى ننصاع له، لا أن نجعله ينصاع لنا، حتى كانت مصيبتنا الكبرى أننا طبقنا الإسلام كما نريد، لا كما هو يريد.

أكذوبة الحرب الصليبية

إن العصر الذي نعيشه مليء بالأكاذيب التي يروج لها من أجل الوصول إلى مآرب أخرى، فها نحن نسمع كثيرًا هذه الأيام عن الحرب على الإسلام، مع أنه لا توجد حرب على الإسلام كما يقال، بل توجد حروب اقتصادية بحتة، بدليل أن المتابع لهذا الأمر يجد أن الحروب الآن في لبنان وأفغانستان والعراق، فهل لا يوجد إسلام سوى في هذه الدول حتى تكون الحرب فيها دون سواها، فهذا دليل لا يحتاج إلى تعليق، ودليل ثانٍ: أننا نرى المسلمين في أمريكا وجميع دول أوروبا ينعمون بحرية ممارسة الشعائر الدينية أفضل بكثير من دول المسلمين أنفسهم، فهم يمارسون شعائر دينهم بدون أي مضايقات تذكر، بل على العكس تقدم لهم تسهيلات في ذلك، وهذا واضح لكثير من الإخوة الذين يعيشون في الغرب، وهناك مصلّى في البيت الأبيض يصلي فيه المسلمون وكثير من القواعد العسكرية الأمريكية لا تخلو من مصليات، وإذا كان هذا هو حال البيت الأبيض، والقواعد العسكرية، فأي حرب إذن على الإسلام؟!

ويقول البعض: إن الرئيس فلان قال: إنها حرب صليبية.

وقيل أيضًا: إنهم دخلوا العراق من أجل إسقاط الخلافة. أي خلافة لا أعلم، وقد غفل من يقول بهذه الأقاويل من المسلمين عن أنه بذلك يسير في طريق يرسمه له آخرون، ليشغلوا ذهنه بأمور، ويتفرغون هم بعد ذلك لأغراضهم الحقيقية، مثلهم في ذلك مثل اللصوص منذ قديم الزمان يحاولون أن يصرفوا أنظار الناس عن سرقاتهم بأحداث أخرى، فهناك لص كبير عندما قبض عليه وسئل عن الطريقة التي اتبعها لسرقة المنزل، مع وجود الحرس، قال: قمت بحرق العمارة المجاورة، فانشغل الحراس، وأهل المنزل بهذا الحريق المفتعل، وسرقت جميع ما وقعت عليه يدي بكل يسر وسهولة.

وهذه سنة إجرامية مشهورة، يلفت المجرم الأنظار بعيدًا عن جرمه المقصود بأمر آخر جانبي لا يريده، وهو ما تفعله القوى الكبرى الآن في حروبها الاقتصادية التي تنال المسلمين، فيوهمون المسلمين أنها ليست حربًا اقتصادية ولكنها حرب على الإسلام، ويروجون لبعض العبارات والأفعال الدالة على ذلك، فينشغل بها المسلمون، ويتفرغون هم لتحقيق مصالحهم في العالم الإسلامي.

فخذ مثلًا عبارة مثل عبارة (الحرب الصليبية) التي تثير حفيظة المسلمين، وتقنعهم بأن الغرب يحارب الإسلام؛ فإنك عندما تحلل هذه الكلمة في هذا الوقت، وليس في الماضي، ولا في المستقبل، وتحاول أن تصل إلى المقصود بها لا تجد شيئًا مفيدًا؛ لأن الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة التي تحكم العالم الآن والمسلمون من بين هذه الدول رضينا، أم أبينا، فلا يحتاج رئيسها أن يقول مثل هذه الكلمة إلا لهدف بعيد كل البعد عن مضمونها.

وإنك لو نظرت في حال المسلمين الآن، وما يحدث فيما بين السنة والشيعة في العراق، وبين الفصائل الفلسطينية في فلسطين، وبين الشعوب والحكام، وبين الملتحين وغير الملتحين لعلمت أن المسلمين لا يخاف منهم أحد ولا يأبه بهم أحد، سوى في الإعلام المستفيد من كل هذا.

وترى بعض المسلمين إذا سمع مقالة أحد الغربيين إننا: «نخاف من الإسلام قام وخطب فيها يوم الجمعة، وتسمع التكبير من المصلين والهتافات: إن الإسلام دين عظيم، ويرعب الكفرة والفجرة».

والمتأمل يرى: أن الإسلام ولا شك عظيم، ولا يحتاج لشهادة هذا أو ذاك، لكن الذي نريد توضيحه:

أن الذين يتناحرون فيما بينهم على أتفه الأسباب، لا يمكن أن يخاف منهم أحد سواء كانوا كفرة أم فجرة، ووصل بأعدائنا الحال أنهم إذا أرادوا أن يسرقوا شيئًا أو يعرفوا نسبة الساكنين في الشوارع من أبناء المسلمين، أو أرادوا أن يروجوا لصحيفة من صحفهم أو أرادوا صرف المسلمين عن قضية من قضاياهم، أمروا أحدهم بسب دين الإسلام، أو بالتهكم على الرسول عليه السلام، أو بالتفوه بعبارة تثير المسلمين: كالحرب الصليبية، أو الحرب على الحجاب؛ فعندئذٍ، يخرج المسلمون في الشوارع يندددون والبعض الآخر يسافر، ويعقد المؤتمرات من أجل الدفاع عن الدين كما يقولون، وهم وإن كانوا يتوهمون أنهم يدافعون عن الدين حقًّا؛ فإنهم في الحقيقة يسيرون في الطريق التي رسمها لهم بعض أعدائهم ليصلوا إلى أمر آخر، أو ليشغلوهم عن قضية أخرى أهم، ونحن كشعوب وعلماء كما يقول أهل الشام (يخزي العين) جاهزون للتطبيل

والترويج لمشاريع الغرب، وخذ مثلًا على ذلك أن الصحيفة التي أظهرت الكاريكاتير المسيء للنبي عليه السلام كانت صحيفة واحدة، فأصبحت بفضل جهودنا وجهود علمائنا ومفكرينا مجموعة من الصحف الساخرة، وليست صحيفة واحدة.

ومن المفارقات: أن الحجاب يحارب، ويُشتم الرسول والدين ورب العالمين في دول المسلمين أكثر من دول غير المسلمين، ولم نقم بعمل مؤتمرات، ولم نقم بمحاربة هذه الظاهرة المنتشرة بين المسلمين بصورة مرعبة، ويكفي أن تسير في أحد الأسواق، أو تقف في موقف سيارات، أو تسمع مشجعي الأندية والمنتخبات في المباريات، أو تحضر إحدى المشاجرات بين المسلمين فإنك سوف تسمع عبارات الكفر وسب الدين تتردد مرات ومرات؛ بلا نكير ولا حساب.

الأسباب المطلوبة

إن الأسباب المطلوبة لتمكين المسلمين تتمثل في إقامة الدين، الذي يعز أهله، ويذل أعداءه؛ كما قال الخلفية الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دخل بيت المقدس، وقال لأبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه: (نحن قوم كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام إذا ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله).

والشاهد في هذه الرواية أن الله تعالى قد أعز هذه الأمة بالإسلام فلو أرادت أن تعود لها عزتها؛ فلنقم الإسلام من جديد، والإسلام لا يقام بالحضارة وإن كان يشجع عليها، وكما قال أحد كبار علماء الدعوة: «لو كان الدين يقوم بالحضارة لأخرج الله رسوله من الفرس، ولو كان يقوم بالجيوش لأخرج رسوله من الروم، ولكنه أخرجه من هؤلاء الأميين، وجعل هؤلاء الأميين يحكمون الفرس والروم وحضارتهم، حتى لا يأتي أحد من الناس، ويقول بعد ألف وأربعمائة عام: إن الدين يقوم بالجيوش أو بالحضارة، بل يقوم بالدين فقط.

فـإذا وجـد الـديـن في حـيـاة الأمــة، انـتـصـرت بـأقـل الأسـبـاب؛ لأن الله سبحانه وتعالى ربط الحياة على قدر الاستطاعة وليس على كثرة الأسباب أو قلتها، فها هو عز وجل قد جعل الجهاد وقتال الأعداء على قدر الإمكانيات، ونصر عباده الذين أقاموا دينه، وهم قلة في العدد والعدة، وغزوة بدر من أقوى الأدلة على ذلك.

والحـج الركن الخامس من أركـان الإسـلام، جعله الشرع الحنيف في الحديث «لمن استطاع إليه سبيلًا»[1]، فإذا كنت لا تملك الراحلة أو مصاريف الحـج، أو لم تكن الطريق آمنـة، فقد أعـذرك الله سبحانه، وأسقط عنك الفريضة.

وعلى هذا انطلق في كل شرائع الإسلام ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

فالمطلوب أن يتقي المسلمون ربهم قدر استطاعتهم وعندئذٍ سيمكن لهم ربهم في الأرض بإذنه سبحانه، ويفوقون كل حضارة محدثة؛ كما فاق أسلافهم كل حضارة قديمة.

---

(١) أخرجه البخاري (١/٦٤) كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم (٨)، وفي (٨/٣٢) كتاب التفسير، باب ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:١٩٣) (٤٥١٤)، ومسلم (١/٤٥) كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام (١٩/١٦).

فقه التمكين

كثير من الشباب والكهول يتصورون أنه بوجود مصانع أسلحة وجيوش مدربة قوية لدى الدول الإسلامية يكون عز الإسلام والمسلمين.

ومن المفارقات أن الحكام في نظر السواد الأعظم من الإسلاميين ضد الإسلام والمسلمين، وهم المسئولون عن سقوط المسلمين في رأي كثير من العوام، على ما سبق بيانه؛ فكيف يمكن مع ذلك أن نطالبهم بتصنيع وتدريب الجيوش؟

والسنة توضح لنا أن التمكين في الأرض يكون بثلاث مراحل على النحو الآتي:

المرحلة الأولى:

دعوة المسلمين للعودة إلى الإسلام الصافي، وليس الإسلام الصوري، لأن دراسة الشريعة، وإطلاق اللحية، وارتداء الحجاب، وتقصير الجلباب للرجل، وتطويله بالنسبة للمرأة لا يعني العودة للدين الصافي.

وإنما العودة إلى الدين الصافي تعني: العودة إلى الدين الحقيقي

الذي تبدو على صاحبه بالإضافة إلى ما سبق وغيره من شعائر الدين الظاهرة أعراض الرحمة والشفقة على الناس، فتكون ظاهرة على محياه ويخرج الحقد والحسد من قلبه، وتبدو عليه آثار الاستقامة في المعاملات، والمعاشرات، والأخلاق الإسلامية العالية.

أما أن يؤدي المسلم شعائر الإسلام ويظهر بمظهر إسلامي، ثم لا تجد في قلبه إلا الحقد والحسد، والتفسيق والتبديع والتكفير والجري وراء الدنيا، فاعلم أنه بذلك أبعد ما يكون عن الاستقامة الحقيقية، حتى وإن اعتلى المنابر، وألقى الدروس والمحاضرات: فإن ثمرة الدين هي الأخلاق والمعاملات، وكما قيل: «إن الدين يدخل للمسلم من باب العبادات، ويخرج من باب المعاملات»، والمقصود بهذه العبارة أنك عندما ترى مسلمًا مصليًا، أو ملتحيًا، أو تجد امرأة متحجبة فإنك تقول: هؤلاء أهل دين، وعندما تتعامل معهم، تجدهم أبعد ما يكونون عن الدين.

وقد تعاملنا كما تعامل غيرنا مع كثيرين من أصحاب التسجيلات الإسلامية التي يظن كثيرون بأصحابها خيرًا، ويفاخرون بكثرة تسجيلاتهم، تعاملنا معهم، فوجدنا أن أكثر من تسعين بالمائة منهم ماديون أولًا ثم يأتي الإسلام عندهم ثانيًا، بل ثالثًا، إن لم يكن رابعًا، لا يهم مطلقًا عند البعض الذين تجد أن أهم شيء عندهم هو أن تدفع المال وبعد ذلك لا يهمهم شيء، فإذا كانت هذه مقاصدهم، فماذا تنتظر الأمة الإسلامية منهم.

المرحلة الثانية:

إخراج حب الدنيا والحسد والحقد من القلوب، وهي مرحلة مرتبطة بالمرحلة الأولى ارتباطًا كاملًا وهي في غاية الأهمية؛ لأنه كما جاء في الحديث الشريف «إن الله لا ينظر إلى أشكالكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»، وفي رواية أخرى «إلى أعمالكم»[1]، فموضع نظر الله هو القلوب والأعمال، فكيف قلوبنا الآن؟ إن الله تعالى إذا رأى قلوبنا صافية لا يوجد بها كره ولا حقد، ولا حسد، وإنما امتلأت بحبه وحب أوامره وسنة نبيه عليه السلام فهنا يبدأ التمكين.

المرحلة الثالثة:

الحكمة والرحمة في معالجة الأمور، والبعد كل البعد عن الانتقام وثقافة العداء، التي سبق الحديث عنها، والتحلي بالرحمة والشفقة حتى مع المخالف، فإن هذه هي أخلاق النبوة.

ونتمنى أن يتأمل دعاة الانتقام والتفجيرات، وأصحاب ثقافة العداء قصة الرسول عليه السلام مع أسامة بن زيد عندما قتل المشرك بعد أن نطق الشهادة، وقال للنبي عليه السلام: إنما قالها خوفًا من السيف، والرسول ﷺ يقول له: «أقتلته بعد أن قالها، ماذا تفعل بلا إله إلا الله يوم القيامة»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٨٦/٤، ١٩٨٧) كتاب «البر والصلة والآداب» باب «تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله» رقم (٣٣، ٢٥٦٤/٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٠/٧) كتاب المغازي، باب: بعث النبي ﷺ أسامة (٤٢٦٩)، وطرفه في (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦/١) كتاب الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (١٥٨٩٦).

الرحمة المهداة

قد لا تعجب دعوتنا السابقة إلى الشفقة والرحمة مع المخالف دعاة التفجير والانتقام والتشفي بالعدو، فنقول لهم: أيهما أولى بالشفقة والرحمة: الآدمي أم الحيوان؟

والجواب بعيدًا عن التعصب والغلو: أن الإنسان أيًّا كان: وليًّا أو مخالفًا ما لم يكن محاربًا أحق بالرحمة من الحيوان.

وإذا كان الأمر كذلك فلننظر إلى ثواب الرحمة بالحيوان، وعقاب القسوة عليه، لنعرف مدى ثواب الرحمة بالإنسان وعقاب القسوة عليه، فها هي بغيّ من بغايا بني إسرائيل رحمت كلبًا يلهث من العطش فسقته فأدخلها الله الجنة[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٥٠٧)، والبخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (١٤٥، ١٥٥ ٢٢٤٥) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة.

وها هي امرأة عذبت هرة حتى ماتت فأدخلها الله النار[1].

فالرحمة والقسوة على الحيوانات كانت سببًا لدخول الجنة أو النار، فكيف بالرحمة والقسوة على البشر!!

وكثيرًا ما يسوقنا الحديث هاهنا إلى مفارقات عجيبة؛ فنحن ندعو إلى الشفقة والرحمة بالمخالف، وفي الحقيقة والواقع نحن نحتاج أولًا إلى الدعوة إلى أن يرحم بعضنا بعضًا في واقع يتناحر فيه المسلمون، ويسطو بعضهم على بعض، ويسفك بعضهم دم بعض، ويستولي على ماله، وينتهك عرضه... إلى آخر صور العنف والوحشية في تعامل المسلمين بعضهم مع بعض، وقد نسوا أن «الرحماء يرحمهم الرحمن»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٩/٦) كتاب بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم حديث (٣٣١٨) ومسلم (٢٠٢٢/٤، ٢٠٢٣) كتاب البر والصلة، باب: تحريم تعذيب الهرة (٢٦١٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٧٠٣/٢) كتاب الأدب، باب: في الرحمة، رقم (٤٩٤١)، والترمذي (٤٨٣/٣) كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة المسلمين، رقم (١٩٢٤)، وأخرجه أحمد (٣٠١/٢)، وابن حبان (٤٦٢)، والحاكم (٢٤٨/٤).

تشخيص حالة سقوط المسلمين

عندما يقال: «الإسلام هو الحل»؛ فإن هذه كلمة أو عبارة صحيحة في نظرنا، ولكن كيف تطبق أو يطبقها الداعون لها؟

إن من ينظر إلى حال من يرفعون هذا الشعار، والذي كثيرًا ما يرفع في المعارك الانتخابية، يجدهم يربطون الإسلام بترشيح شخصية معينة وكأنهم يقولون: إن هذا هو الشخص الذي إذا انتخبتموه يكون الإسلام هو الحل، وإذا لم ينتخب ولم يحكم، ولم يعتل السلطة ما هو الحل؟ وكيف يكون مصير الإسلام في هذه المرحلة؟ يكون الإسلام ليس هو الحل بمنهجهم، وتقف دعوتهم، وهنا يبدأ الشيطان في تغيير النوايا من خدمة (الإسلام هو الحل)، إلى (كيف نحكم)؟

وآخرون يرون: أن إصلاح عقائد المسلمين، ونشر العلم هو الحل لعودة الناس والتمكين في الأرض، ومنهجهم هو إقامة الدروس في المساجد، ونشر الكتب بين الناس، وهنا يقف المنهج، لأن الناس إذا لم يحضروا الدروس والمحاضرات، ولم تقرأ النسبة الكبيرة من المسلمين

هذه الكتيبات، فما هو الحل؟ هنا تقف دعوتهم ويتلاشى الحل الإسلامي في نظر المجتمع.

أضف إلى هذا أن نسبة الحاضرين للمساجد لا تزيد على عشرة بالمائة أو أقل، فكم إذن تكون نسبة الحاضرين للدروس العلمية؟ إنها بالطبع ستكون نسبة لا تكاد تذكر، فكيف مع ذلك كله يكون نشر العلم بالدروس والكتب هو الحل؟!

وآخرون يرون أن الدعوة هي السبيل الرئيسي لقيام الإسلام في العالم وعودة المسلمين لمجدهم السابق، ومنهجهم في ذلك، هو دعوة الناس، وخروجهم في سبيل الله معهم، وإذا لم يخرجوا معهم فمنهجهم هو دعوتهم في المساجد، وفي كل مكان يجتمع فيه الناس، وزيارتهم حتى في منازلهم، وترغيبهم في ذلك، وإذا منعت دولة من الدول منهجهم بأي حجة من الحجج، قالوا: ندعوهم عن طريق المعارف والأصدقاء؛ هذا هو حل من الحلول.

ونقول: إذا رأينا أي منهج من المناهج يقف ينتظر أن يصل إلى سدة الحكم، أو حتى يحضر الناس إليه، فلنعلم مسبقًا أنه: لا يمكن أن يكون حلًّا.

والإسلام إنما يكون حلًّا عندما يكون صافيًا نقيًّا كما أنزل، وعندما لا تحده حدود، ولا توقفه حواجز، ولا تؤثر فيه المؤثرات، وإنما يؤثر ولا يتأثر مثل الرياح لا يقف في وجهها شيء، وتدخل كل مسكن.

هذا باختصار شديد هو المنهج الذي ينبغي أن يقدم للأمة بوصفه حلًّا من الحلول الإسلامية التي أتى بها النبي عليه الصلاة والسلام والتي تقي الأمة من الشياطين وأعوانهم الذين قدموا جميع المغريات، والملهيات، والمثيرات، وأدخلوها كل منزل بمنتهى الدهاء واللباقة، ونحن ما زلنا ننتظر الناس حتى يحضروا إلينا، ويدعمونا ماديًّا ومعنويًّا.

ومن الجدير بالذكر هنا أن ننبه على أن كثيرًا من الدعاة العلماء، وغيرهم يكون خطابهم الدعوي دائمًا بصيغة فعل الأمر على سبيل المثال يقولون: على الأمة أن تفعل كذا وكذا، وعلى الحكام أن يفعلوا كذا وكذا، وعلى الإعلاميين أن يفعلوا كذا وكذا، ويخرجون من محاضراتهم، وأبحاثهم بتوصيات تذهب أدراج الرياح؛ لأنها أبحاث حبر على ورق، وما زالوا يتوهمون أن هناك من المسئولين من ينتظر أبحاثهم ومقولاتهم؛ ليأمر بتطبيقها على المجتمع فور إصدارها.

والمتأمل لسيرة الرسول عليه السلام في عمرة الحديبية يجد: أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لم يمتثلوا لأمره بحلق رؤوسهم، ولكنهم عندما شاهدوه حالقًا رأسه، تقاتلوا على ذلك، وهو ما يعني: أن من أراد إصلاح غيره؛ فليكن قدوة له في الصلاح، لا أن يتوجه إليه بالأوامر الإصلاحية؛ فليت علماءنا ومفكرينا يعون ذلك ويغيرون من خطابهم مع الناس، ويكونون قدوة تتأسى بهم الأمة.

الخلافة

يظن كثير من الناس أن مشكلة الأمة الإسلامية هي عدم وجود الخلافة، ويظنون أنه لو وجدت الخلافة، لرجعت حقوق المسلمين، ولتغيرت حياتهم، وسادوا الدنيا.

وهذا الكلام يحتاج لدلائل تؤيده، لأن هناك كثيرًا من الأدلة القوية التي تعارضه؛ إذ لو كانت الخلافة تعيد الحقوق، وتقهر الظالم، وترد الحقوق، لما سقطت، ولدافعت عن نفسها، فسقوطها دليل على أن الأركان التي كانت تقف عليها قد سقطت قبلها، وهذا يعني: أننا نحتاج إلى أمة الخلافة لا إلى الخلافة، فقد قال الله عز وجل: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠) أي: قومًا يخلف بعضهم بعضًا.

وقد كانت الخلافة السبب الرئيسي لمقتل الأئمة: عثمان، وعلي والحسن، والحسين، وعبد الله بن الزبير، وكثير من آل البيت رضي الله عنهم أجمعين.

وبسبب الخلافة تفرق المسلمون إلى خوارج، وشيعة، ومرجئة.

وهذا كله يؤكد أن الخلافة سبب رئيسي للفتن، وأنها قابلة للسقوط، والانهيار، وتغيير النوايا من خدمة الإسلام إلى البحث عن المناصب.

إذن فنحن مطالبون بإقامة أمة الخلافة، وليست الخلافة، الله سبحانه وتعالى هو الذي يضع الخليفة، وليس نحن، بل ورد النهي عن طلب الإمارة.

وهب أننا أقمنا الخلافة، فمن هذه الشخصية التي لديها القبول في جميع أوساط المسلمين؟ حتى نقول إنها مناسبة أن تكون خليفة للمسلمين.

وانظر حولك، لن تجد شخصية مقبولة لدى الجميع، وإذا وجدت شخصية فالقادحون فيها أكثر من المادحين.

وخلاصة الأمر: أننا مطالبون بإيجاد أمة الخلافة التي تتحمل كل الصعاب من أجل الدين، ولسنا مطالبين بإيجاد خليفة على أمة قد هان عندها أمر دينها فلم تعد تتحمل أي تضحية من أجله على نحو ما رأينا مثلًا في موقف الفلسطينيين من حكومة حماس، وقد شاهدنا كيف خرج الناس في الشوارع ضد حماس من أجل تأخر رواتبهم ولم يمكنهم التنازل عنها، وقس على ذلك جميع الدول الإسلامية! فلنتنبه!!

ولتعلم: أنه إذا وجدت أمة الخلافة، يسهل أمر الخليفة، وتتغير جميع المعادلات الصعبة.

ولنعلم أيضاً أن السبب الرئيسي في قيام أول دولة إسلامية عرفها التاريخ في المدينة المنورة، كان هو الدعوة إلى الله في موسم الحج وليس البرلمانات، ولا الانقلابات السياسية، ولا التفجيرات، ولا الانتخابات، فأوجد النبي عليه السلام في مكة أمة الخلافة ورباها فصبرت، وتحملت العناء والمشقة، حتى هيأ الله لهم المدينة النبوية.

هذا هو الطريق الذي نراه لقيام الدولة الإسلامية، وكما قيل: «الأمة الراشدة تنبثق منها خلافة راشدة».

الـورع

إننا في عصر مليء بالمنكرات، والورع والواجب الديني يقتضيان تغيير هذه المنكرات، التي تجلب اللعن والطرد من رحمة الله تعالى؛ كما قال سبحانه ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨).

ولهذا جعل العلماء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الركن السادس من أركان الإسلام، لكن لابد هاهنا من التنبيه على مسألة بالغة الخطورة وهي أنه لا بد من اختيار وسيلة إزالة المنكر التي تتناسب مع واقع الأمة وظروفها: فها هو النبي عليه السلام في مكة عندما بعث كان يجلس بجانب الكعبة المشرفة وحوله أكثر من ثلاثمائة وستين صنمًا بجانب بيت رب العالمين، لماذا لا نسأل أنفسنا: كيف جلس النبي عليه السلام بجانب هذه الأصنام ولم يقم بتكسيرها؟ فكيف يقبل الرسول عليه السلام بهذا إلا لأن الظروف لم تكن ملائمة لذلك التغيير في حالة قلة وضعف المسلمين، وهذا هو الحاصل الآن.

ألم ينظر النبي عليه السلام إلى هذه الأصنام والمنكرات في مكة وقلبه يتفطر؟! بلى، نظر إليها، ولكنه كان يعلم أن تكسيرها يعني انقلاب جميع مشركي مكة ضده عليه السلام حتى المتعاطفين معه، وقد كان يطمع في إسلام كثيرين منهم.

فهذا منهجه عليه الصلاة والسلام في حالة ضعف المسلمين، ونحن الآن في حالة ضعف أكثر بكثير من حالة النبي عليه السلام وصحبه الكرام في مكة في ذلك الوقت؛ ولكن البعض مصر على أننا في مرحلة إسلامية قوية، وعلى أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، وهنا تكمن المشكلة.

الديمقراطية

من المشاكل التي نواجهها الآن اختراع الكذب، وبعد ذلك محاربته!! والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة جدًّا:

فالغربيون اكتشفوا السلاح النووي، وقتلوا به آلاف البشر، ثم هاهم بعد ذلك يحاربون انتشار التسلح النووي!!

وأيضًا: فقد ظلم الغربيون وسرقوا، ونهبوا، ودربوا الحكام على الظلم وغيره، وبعد ذلك هاهم يطالبون الحكام بالديمقراطية!! بل يدّعون أنهم سيفرضونها فرضًا على كل حاكم ديكتاتور، وأطاحوا بصدام حسين بناءً على هذه الدعوى وغيرها.

ثم ما إن انتصرت حماس في الانتخابات ديمقراطيًّا حتى راحوا يحاربونها، وكأن الديمقراطية التي أوصلت حماس إلى السلطة ديمقراطية مزيفة غير ديمقراطيتهم الحقيقية.

وفوق هذا كله قد أرهب الغربيون والأمريكان الأبرياء، واحتلوا دولهم وبعد ذلك هاهم يدّعون أنهم يحاربون الإرهاب..!! كما يقولون..!!

وهذا كله يعني: أننا قد صرنا في عصر الكذب والادعاء؛ عصر يتلون فيه صاحب كل مطلب بكل الألوان ليصل إلى مطلبه؛ فعلى المسلمين أن يعوا ذلك، ولا تضللهم أكاذيب أعدائهم.

قمة الإرهاب

يتهم الإسلام والمسلمون الآن بالإرهاب بسبب بعض العمليات التي يقوم بها من ينتسبون للإسلام.

ونحن ندعو هؤلاء القائمين بعمليات القتل والتفجير ونحوها؛ كما ندعو أولئك الذين يتهمون الإسلام بالإرهاب أن يتأملوا قصة النبي ﷺ مع ثقيف، التي جاءت على النحو الآتي: بعد وفاة أبي طالب عم النبي عليه السلام ازداد البلاء على الرسول ﷺ، فعمد إلى ثقيف، رجاء أن يؤووه، وينصروه فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاء، وما ناله من قومه من التكذيب والإيذاء، فاجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ وقعدوا له صفين على طريقه، فأخذوا بأيديهم الحجارة، فجعل لا يرفع رجله، ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة، وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون؛ حتى سالت الدماء من قدميه الشريفتين، وعاد وهو مهموم، ولم يفق إلا بقرن الثعالب من شدة القهر، فعندما رفع رأسه إلى السماء، فإذا بسحابة أظلته عليه السلام، فيها جبريل الذي ناداه قائلًا: «إن الله سمع قول قومك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت

فيهم»، ثم ناداه ملك الجبال، فسلم عليه ثم قال: «يا محمد، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين»، فقال النبي عليه السلام: «بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئًا»[1].

إذا كان هذا هو موقف النبي ﷺ من أهل ثقيف بعد كل ذلك الإيذاء، فلماذا لا ندعو نحن وشبابنا الذين يتبنون منهج التفجير أن يخرج الله من أصلاب الأمريكان وغيرهم من مخالفينا من يعبد الله لا يشرك به شيئًا، أليس هذا أفضل من قطع رءوسهم وتفجيرهم، بلى هو أفضل؛ لأنه ثبت عنه عليه السلام أنه قال لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم»[2] ولم يقل: لأن يقتل الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم!!..

ثم ما هي الفائدة التي تعود على الإسلام والمسلمين عندما يقتل كافر مستأمن، ويفعل به ما يفعل!!.. مع العلم أن الله تعالى استجاب لدعوة الرسول عليه السلام وأخرج من ثقيف فاتح السند والهند: محمد بن القاسم الثقفي.

وبعد عرض هذه القصة، نقول لهؤلاء الذين يتهمون الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري (٦/٣٦٠) كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم «آمين» (٣٢٣١)، ومسلم (٣/١٤٢٠، ١٤٢١)، كتاب الجهاد، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين (١١١ ١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦/٢١١) كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، (٢٩٤٢)، وأطرافه في (٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠)، ومسلم (٤/١٨٧٢) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٤ ٢٤٠٦)

بالإرهاب: أهكذا يكون الإرهاب؟ لا والله إنها قمة التسامح والعفو مع الأعداء الذين آذوا، واستهزئوا، وسخروا؛ فكيف بالمستأمنين المسالمين، والوادعين الآمنين، إن الإسلام لا يمكن بحال من الأحوال أن يتوجه إليهم بالإيذاء، ولا الإرهاب.

ونقول لهواة التفجير والانتقام من المسلمين وهم قلة قليلة بحمد الله **تعالى**: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.

كان خلقه القرآن

بعض العلماء والباحثين - جزاهم الله خيرًا - يحاولون أن يدعوا الناس إلى الإسلام بأن يوضحوا لهم أن الإسلام هو الدين الحق؛ ولذلك تجدهم يبحثون عن دلائل كونية أثبتها القرآن، أو السنة النبوية منذ ألف وأربعمائة سنة، ويجتهدون في شرحها للناس مؤكدين لهم أن القرآن قد أثبت هذه الظاهرة وأوضحها قبل العلم الحديث، وهم يطمعون بذلك في إسلام هؤلاء عن طريق براهين كونية مستمدة من القرآن الكريم، وهذا يذكرنا بموقف مشركي مكة عندما جاء أحبار اليهود وطلبوا من النبي ﷺ أن يشق القمر نصفين، ليثبت لهم صدق رسالته، وذلك فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاء أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: أرنا آية حتى نؤمن بها، فسأل ربه، فأراهم القمر قد انشق، فصار قمرين: أحدهما على الصفا والآخر على المروة، قدر ما بين العصر إلى الليل، ينظرون إليه ثم غاب، فقالوا: هذا سحر مستمر؛ فنزلت الآية ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ (القمر: ١-٢).

فهؤلاء المشركون رأوا انشقاق القمر بأنفسهم، ولم يؤمنوا فكيف بمشركي اليوم؟!

ونحن نقول: إن هناك أمرًا أقوى من هذا في هداية الناس، ألا وهو تقديم القدوة الصالحة للأمة؛ كما جاء في حديث عائشة عندما سئلت عن خُلُق النبي ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»[1].

والذين دخلوا في الإسلام كما هو معلوم في العالم بسبب القدوة الصالحة أعدادهم لا تقارن بمن دخلوه بالآيات الكونية، وغيرها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/٩١) عن عائشة رضى الله عنها.

القدوة الصالحة

يؤكد ما ذكرناه من أهمية القدوة الحسنة في نشر الإسلام، والدعوة إلى الله تعالى ما ورد في غزوة خيبر، حيث يقول الإمام علي رضي الله عنه للرسول ﷺ: «نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا»، وهي كلمات تدل على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا قدوة صالحة يتأسى بها الناس في أخلاقهم وصفاتهم، وعلاقتهم بربهم سبحانه وتعالى، ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يدعون الناس حتى يكونوا مثلهم.

وهنا تكمن إحدى مشاكلنا، وهي أننا حين ندعو الناس فهل ندعوهم ليكونوا مثل أخلاق علمائنا، أم مثل أخلاق طلبة العلم، أم الفنانين، أم من؟

من الذي نستطيع ترشيحه من شرائح المجتمع الإسلامي العظيم؛ لنقدمه بوصفه نموذجًا يحتذى به؟

فنحن لا نستطيع ترشيح العلماء؛ لأنهم سوف يختلفون ما بين أشاعرة، وسلفيين... إلخ.

ولا نستطيع ترشيح طلبة العلم؛ لأنهم أيضًا سوف يختلفون كما اختلفت مشايخهم.

والصالحون لن يتفقوا، لأن كل واحد منهم له طريقته الخاصة.

حتى إذا اتجهنا نحو المجتمع كفنانين أو لاعبي كرة، أظن أنهم لن يتفقوا لأن كلًّا له منهجه.

لكن هناك شريحة واحدة يمكن أن تتفق ويمكن لنا أن نقدمها نموذجًا للأمة، وهي شريحة مشجعي كرة القدم في العالم الإسلامي، وخاصة العرب منهم.

صحيح أن منهم الكذابين وتاركي الصلاة، والنصابين، لكن لديهم هدفًا أسمى تذوب عنده شخصياتهم واختلافاتهم، ألا وهو فوز منتخباتهم، فهل تؤيدوننا في تقديمهم بوصفهم قدوة صالحة للأمة؟ وإذا لم تؤيدونا في ذلك فمن يبقى لدينا من شرائح المجتمع؟ تبقى شريحة حكام المسلمين، وما أدراك ما حكام المسلمين!! فإنهم بسبب انشغالهم، ولأننا لا نستطيع أن نجمعهم، نتجاهلهم.

آخر الخيارات لدينا أن نحضر عمالة من أي جنسية، ونعلمهم وندربهم هذا إذا اتفقنا على من يدربهم وبعد ذلك نقدمهم كقدوة صالحة للمسلمين، فهل يعقل هذا!!! ولكم الخيار في ذلك، فأشيروا علينا.

ونحن بكلامنا هذا لا نريد سخرية، ولا نصدر عن رؤية سوداوية للأمور، ولكن نريد أن نضع أيدينا على عيبين خطيرين ومرضين عضالين

في أمة الإسلام:

أحدهما: داء الفرقة والاختلاف.

وثانيهما: غياب القدوة الحسنة.

فما أجدرنا أن ننحي خلافاتنا جانبًا، ونضع أمامنا هدفًا أسمى تذوب فيه خلافاتنا، هو نصرة الإسلام وإعزاز دين الله تعالى.

وما أجدرنا أن يجعل كل منا نفسه رقيبًا ذاتيًّا على نفسه؛ يكفها عن الشر، ويدفعها إلى الخير؛ ليكون قدوة صالحة لغيره بفعله لا بكلامه.

إشكالية العقول

إن مشاكل العالم عامة والأمة الإسلامية خاصة تكمن في رأينا في عقليات أبنائها؛ فالعقليات هي السبب الرئيسي لنهوض الأمم وسقوطها في الوقت نفسه.

وفي رأينا أيضاً أن الرسول ﷺ لم يكن يواجه في بداية دعوته بمكة مشركين بقدر ما كان يواجه عقليات، قبلت الباطل وأحبته؛ فتمادت في جهلها وضلالها، ولم تقبل هدى الله الذي أرسل به المصطفى ﷺ، وآثرت ظلمات الشرك على نور الإيمان، وبحثت عن رضا الخلق ونسيت رضا الخالق جل وعلا.

ومن أكبر الشواهد على ذلك ما حدث عند وفاة أبي طالب عم النبي الكريم ﷺ حيث طمع النبي ﷺ في إسلامه، وهو الطمع الذي زهد فيه المسلمون الآن، فقال ﷺ: «يا عماه، قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة»، فقال: لولا أن تعيِّرني قريش يقولون: ما حمله عليها إلا جزع الموت، لأقررت بها عينك، ولا أقولها إلا لأقر بها عينك»[1].

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٩٦).

فهذه عقلية قدمت رضا المخلوق النبي ﷺ على رضا الخالق عز وجل فختم لها بخاتمة السوء والعياذ بالله، وكان مآلها الخلود في النار برغم أنها كانت تحرص على إرضاء خير خلق الله إلى الله، ولكنها غفلت عن إرضاء الله ذاته؛ فكيف بهذه العقول التي تحرص على رضا من دون رسول الله ﷺ على حساب رضا الله تعالى والعياذ بالله، وهي للأسف عقول لا تزال موجودة بكثرة إلى يومنا هذا.

بين عقليتين: **عقلية مكابرة وأخرى باحثة عن الحق**

أخرج الترمذي عن ابن عمر وصححه، وأخرج الطبراني عن ابن مسعود وأنس أن النبي ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك، بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام»[١].

إن من يتأمل الحديث السابق، يجده شاهدًا على ما تقدم من إشكالية العقول؛ إذ يتناول عقليتين:

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٥٧٧) كتاب المناقب، باب: في مناقب عمر (٣٦٨١ ٣٦٨٣)، وصححه ابن حبان وذكره الهيثمي في موارد الظمآن (٥٣٥)، باب: فضل عمر (٢١٧٩)، وصححه الحاكم (٣/٨٣).

وأخرجه عبد الله ابن أحمد في زوائده على الفضائل (١/٢٤٩)، رقم (٣١١) من طريق أبي كريب الهمداني محمد بن العلاء به.

وأخرجه يونس بن بكير في زياداته على المغازي كما في الإصابة (٤/٤٨٥)، ومن طريقه أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٢٥٥) رقم (١١٦٥٧)، وأبو بكر القطيعي في زياداته على الفضائل (١/٤٠٥)، رقم (٦٢٥)، والبغوي في شرح السنة (٧/١٨٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/٢٤).

العقلية الأولى: عقلية عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه العقلية الجبارة الباحثة عن الحق، ولكن الإعلام في مكة في ذلك الوقت، بقيادة اللوبي المشرك صور للناس ومنهم عمر صورة غير حقيقية لدعوة النبي الكريم ﷺ فالتبس الأمر على عمر رضي الله عنه وظن أن ما يدعو إليه محمد ﷺ هو الباطل، المناقض للحق الذي يبحث عنه؛ فخرج من بيته عاقداً النية على قتل النبي ﷺ، والقضاء على باطله في رأيه حينئذٍ ولو فعل ذلك لكان من أشد الناس عذابًا يوم القيامة، مصداقًا لما أخبر به المصطفى ﷺ: «إن من أشدِّ الناس عذابًا يوم القيامة من قتل نبيًّا، أو قتله نبي»[1]، ولكن لما كان عمر رضي الله عنه باحثًا عن الحقيقة، خصه الله تعالى بدعوة النبي ﷺ، وهداه للإسلام، وهو ما يؤكد أن الباحث عن الحق لا يُخْشى منه ولا عليه، ولكن المشكلة الكبرى فيمن يعرف الحق ويصدُّ عنه ويكابر؛ كما هو حال العقلية الثانية التي نتحدث عنها هاهنا: عقلية أبي جهل، التي حرمت دعوة النبي ﷺ؛ لأنها آثرت الكبر على الحق. كما يدل لذلك ما أخرجه البيهقي عن المغيرة بن شعبة قال: إنَّ أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: يا أبا الحكم، هَلُمَّ إلى الله، وإلى رسوله، أدعوك إلى الله»، فقال أبو جهل: «يا محمد، هل أنت مُنته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنَّك قد بلَّغت؟ فنحن نشهد أن قد بلَّغت، فوالله لو أنِّي أعلم أنَّ ما تقول حقٌّ لاتبعتك.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢١٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٣٦)، وقال: وفي الصحيح بعضه، رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

فانصرف رسول الله ﷺ، وأقبل عليٌّ فقال أي: أبو جهل: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن يمنعني شيء: أنَّ بني قصَيّ قالوا: فينا الحجابة -فتح باب الكعبة وإغلاقه وبأيديهم مفتاحها- فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا السِّقاية، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا الندوة -هي التي بناها قصي بن كلاب لاجتماع قريش وتشاورهم-، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللِّواء، فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكت الركب، قالوا: منا نبي، والله لا أفعل»[1].

وهذه الرواية تدل دلالة واضحة على أن أبا جهل لعنه الله كان يعلم في قرارة نفسه صدق الرسول ﷺ، لكنه أظهر المخالفة عنادًا، وحسدًا، وبغيًا وجحودًا؛ على حد قول ابن كثير في البداية والنهاية[2].

وفي السيرة النبوية أدلة كثيرة أخرى تؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن أبا جهل كان يعلم أن نبينا ﷺ على الحق، ولكن الكبر، وحب السيادة، والريادة قد طمس على بصيرته، وعقليته المتغطرسة جعلته يقول وهو يرى النبي ﷺ ساجدًا أمام الكعبة، ومعه بعض المشركين: من يحضر سلا الجزور[3]، ويضعه على ظهر النبي، فقام ابن أبي معيط، ووضع سلا الجزور على ظهره الشريف ﷺ، وهم يضحكون، ويتمايلون من الضحك، ولم يجرؤ أحد من المسلمين أن يرفع هذه القذارة عن ظهر النبي

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٢٠٦، ٢٠٧).

(٢) البداية والنهاية (٣/٦٠).

(٣) السَّلَا: هي الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي.
ينظر: عمدة القارئ (١٤/٢٠٥).

ﷺ إلا ابنته فاطمة عندما قامت، وهي تبكي؛ لما ترى من الإيذاء الواقع على أبيها ﷺ الذي توجه إلى ربه داعيًا: «اللهم عليك بقريش» ثلاثًا[(١)].

فهاتان عقليتان: عقلية قادت صاحبها إلى نعيم سرمدي، والأخرى أودت بصاحبها إلى عذاب أبدي، فقد مات عمر رضي الله عنه مقتولًا، ومات أبو جهل مقتولًا أيضًا.

عمر قتله أبو لؤلؤة المجوسي، وأبو جهل اشترك في قتله معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين[(٢)].

ولكن انظر إلى الفرق الذي بينهما:

الأول: شيخ الإسلام، قتل وهو أمير المؤمنين، وخليفة رسول الله ﷺ وهو إمام يصلي بالمسلمين.

والثاني: شيخ الكفار، قتل في معركة بدر، وهو يقود حزب الشيطان.

الشخصيتان «العقليتان» دعا لهما رسول الله ﷺ بأن يعز الله الإسلام بإحداهما؛ فكانت الاستجابة من نصيب عقلية عمر؛ لأنها كانت عقلية تبحث عن الحق، ولا تكابر في حين كانت العقلية الثانية: عقلية أبي جهل، تعلم الحق وتعاند، فاختار الله عز وجل التي تبحث عن الحق، وطرد التي لا تبحث عن الحق مع علمها به، هذا باختصار الفرق بين العقليتين.

---

(١) أخرجه البخاري (١/٧٠٧) كتاب الصلاة، باب: المرأة تطرح عن المصلي شيئًا من الأذى (٥٢٠)، ومسلم (٣/١٤١٨، ١٤١٩) كتاب الجهاد، باب: ما لقي النبي ﷺ من الأذى (١٠٧ ١٧٩٤).

(٢) البداية والنهاية (٢٨٧، ٢٨٨).

عقليات التصفيق والتطبيل

كثرت في عهد النبي ﷺ العقليات التي تحمل العناد والكبر والغطرسة وعدم قبول الحق، مثل عقليات عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وغيرهم ممن طمس الكبر والعناد على عقولهم؛ حتى ذهبوا لأبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب، إنك من حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك قد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه، فخذ لنا منه، وخذ له منا؛ ليكفَّ عنا، ولنكفَّ عنه، وليدعنا وديننا، ولندعه ودينه؛ فبعث أبو طالب إلى النبي ﷺ فجاءه، فقال أبو طالب: يا بن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك، ليعطوك، وليأخذوا منك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «نعم، كلمة واحدة تعطونها، تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم»، فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات، قال: «تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه»، فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: يا محمد، أتريد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ إنَّ أمرك لعجب[1]؛ على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ (ص: ٥).

والشاهد هنا هو تصفيق هذا اللوبي الوثني أصحاب العقليات الوثنية، وأصحاب المصالح، لم يعجبهم كلام النبي ﷺ فصفقوا، وهذه عقلية أخرى نستطيع أن نطلق عليها عقلية التصفيق والتطبيل، وما زالت موجودة إلى الآن، بل كثرت في زمننا هذا.

---

(١) البداية والنهاية (٣/١٢٣).

عقليات الحذاء

يحكى أن رجلًا كان يمشي في الشارع، فوجد مجموعة من الناس يصفقون ويطبلون ويصفرون مجتمعين، فزاحم فيما بينهم، يريد أن يعرف علام تحلقوا؟ ولماذا هم فرحون؟ فعندما انتهى إلى وسط الحلقة، شد انتباهه أنه لم يجد طبولًا ولا نارًا كعادة الرقصات الشعبية في وسط الحلقة، بل وجد هؤلاء الناس مجتمعين على حذاء، فتعجب من صنيع هؤلاء الصغار والكبار المصفقين، وسأل من بجانبه: هل يصح أن تجتمعوا، وتتحلقوا على حذاء؟ فرد عليه قائلًا: إن هذا الحذاء له قيمة غالية عندنا؛ لأن صاحب هذا الحذاء قذف به على رئيس أكبر دولة تحاربنا، وتعادينا، ونحن مجتمعون ليس من أجل الحذاء، ولكن من أجل المهمة العظيمة التي أداها هذا الحذاء، ونحن الآن في مزاد، وجميعنا يتشرف أن يشتري هذا الحذاء، ويكون من نصيبه؛ لأنه رد الاعتبار لجميع الأحرار والشرفاء في العالم؛ فأدعو الله أن يكون من نصيبي هذا الحذاء العظيم.

ولا شك أن مثل هذه العقلية التي يصدر عنها مثل هذه التصرفات والأقوال أقل ما يقال فيها: إنها عقلية القندرة أو الحذاء العظيم!! ولا

ينبغي أن تمر مثل هذه الأحداث والمواقف دون تعليق، بل يجب علينا التعليق عليها بما نراه صوابًا بشأنها، ومُعبرًا عن رأينا فيها.

وبناء على ذلك نقول: إن هناك أمرين لا بد من إيضاحهما:

الأول: أن الذي قذف «بوش» بالحذاء في السجن الآن، وضُرِب بمثل هذا الحذاء عشرات المرات، وحكم عليه بثلاث سنوات كما سمعنا، والمضروب عاد إلى بلده، وانتهت مدة ولايته، ولم يستفد من واقعة هذا الحذاء سوى الصحف، ونشرات الأخبار التي كان لديها مساحات خالية احتار محرروها فيما يملئونها به، فجاءت هذه الحادثة فاستفادوا منها فوائد لم يستفدها الرامي، ولا المرمى عليه، ولم يستفد الإسلام والمسلمون فائدة حقيقية من هذه الواقعة، ولا حلت شيئًا من مشاكلنا، ولا عالجت قضية من قضايانا.

الأمر الثاني: الذي نريد التنبيه عليه بشأن هذه الواقعة أيضًا أنه كما هو معلوم، أنه في الحج يرمي الحجاج الجمرات كل جمرة بسبع حصيات، كل حصاة في حجم الحمصة، ولو التقط الحاج حصاة كبيرة الحجم، لقلنا له: خالفت سنة النبي ﷺ، ولو تحمس حاج من الحجاج، وأخذ حذاءه، ورمى به الجمرة، لقلنا: ممكن أن يكون معذورًا لجهله، أو أنه يعتقد أن إبليس هو سبب مشاكله، أو مشاكل المسلمين؛ ولكن لا يعذر من كان ينظر إليه، ولم ينصحه، ولم يوضح له الخطأ الذي ارتكبه ولم يشرح له أن تأديب إبليس يكون باتباع السنة، وليس بكبر حجم الحصى أو صغره.

والسؤال الذي نطرحه هاهنا هو: ماذا نقول لو قام بعض الحجاج بأخذ هذا الحذاء أو الحجارة التي قذف بها هذا الحاج المُتحمس على إبليس، والتقطت الصور التذكارية لهم وهم بجانب الحذاء والحجارة وإبليس؟!! نترك الإجابة لكم!! ونظل نتساءل: هل هناك مسلم رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً يصل تفكيره إلى هذا المستوى ويظن أن حذاء سوف يعيد حقوق المسلمين؟!!

عقلية المواجهة
رؤية جديدة لأحداث غزة

تظهر كل يوم مخترعات حديثة من بينها قنابل وأسلحة متنوعة، ومن المعروف عن جميع الصناعات أنه لا بد من إجراء تجارب لمعرفة صلاحياتها ودقتها قبل أن تُستخدم، فالأمصال الطبية تجرب على الحيوانات أولًا بقيادة الفئران، التي يسمونها طبيًّا: فئران التجارب، والصناعات الحربية والقنابل تختبر على البشر بقيادة المسلمين الغيورين دون منافس لهم.

هذا في رأينا يفسر لنا ما حدث في أحداث غزة، التي استغرقت واحدًا وعشرين يومًا كانت غزة تُدك فيها بأحدث الصناعات من القنابل الحديثة التي لم يجد صانعوها مكانًا في العالم يجربونها فيه سوى بلاد المسلمين، ووجدوا أهل غزة يرحبون بهم، ويفتحون صدورهم ونحورهم لهم مجانًا وبلا مقابل، فحقق بذلك «نساؤنا، وصغارنا، وكبارنا» باسم المقاومة المشروعة أكبر انتصار على الفئران في تقديم أنفسهم لإجراء

التجارب عليهم دون منافس؛ ومن ثم فهم يستحقون أن يدخلوا موسوعة «جينيس» من أوسع أبوابها مع العلم بأن الفئران لا تقدم أجسامها لأصحاب التجارب، ولكنهم هم الذين يربونها في مختبراتهم، ولا حول للفئران ولا قوة، ولا يد لهم في هذه التجارب التي تجرى عليهم.

أما نحن فأصحاب التجارب يصطادوننا برمي الطُعم لنا، فنقوم بإطلاق صاروخ عليهم يتخذونه حجة وذريعة للقيام بإجراء التجارب علينا، وعند انتهاء هذه التجارب، ومعرفة مدى ضراوة أسلحتهم الجديدة، وشدة فتكها يأخذون قيمة ما خسروه في التجارب السالفة الذكر بطرقهم الخاصة، وبعد ذلك يقولون: لقد نجحت الدولة الفلانية بما حباها الله به من دهاء سياسي أن تقود المفاوضات، وتوقف الحرب فورًا، فهنيئًا للدهاء السياسي في المسلمين.

والعقلية التي تهمنا هنا ونقف عندها هي عقلية الغيورين التي تخرج من تحت الأنقاض، وتقول وهي لا تستطيع الحراك: لقد انتصرنا انتصارًا أذهل العالم، ويا ويله، ويا سواد ليله من يقول: إننا مخطئون، فهو خائن، منافق، معلوم النفاق، وتسمع التصفيق والتطبيل بقيادة بعض المفكرين والعلماء من جديد، يهنئون بعضهم بعضًا بالنصر ويشرحون ويحللون كيف كان هذا الانتصار العظيم!! وفي الحقيقة إنه ليس ثمة انتصار ولا خلافه، وإنما كل ما في الأمر هو مجموعة من التجارب أرادت إسرائيل القيام بها للتأكد من مدى ضراوة بعض ما اخترعته من أسلحة، وقد فرغت من هذه التجارب، وتأكدت مما تريد، وانتهى الأمر.

وهذا يتطلب من المقاومة ومن المسلمين عمومًا أن يكونوا أكثر حكمة وعقلانية؛ فها هو عمر رضي الله عنه عندما هاجر من مكة إلى المدينة قد خرج في منتصف النهار، في حين أن النبي ﷺ قد هاجر متخفيًا؛ فهل هذا يدل على أن عمر رضي الله عنه كان أشجع من النبي ﷺ؟ حاشا وكلاًّ أن يوجد على وجه الأرض من هو أشجع من النبي ﷺ، ولكن الرسول قدوة للأمة، أما عمر، فليس قدوة للأمة.

وهذا يجعلنا نقول: إن العقليات تختلف، وتتفاوت في المواجهة، والحكمة تقتضي أن نتحكم في عواطفنا وتصرفاتنا، ونعلم متى تستخدم القوة، ومتى يكون اللين؟

صحيح أن الغيرة مطلوبة ولكن الحكمة والتروي في الأمور، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كل هذه أمور مطلوبة أيضًا، وقد تأتي بنتائج أفضل بكثير مما يمكن أن يأتي به الحماس والغيرة الزائدين، كما يدل لذلك ما أخرجه ابن سعد عن المقداد بن عمرو قال: أسرتُ الحَكَم بن كَيْسان، فأراد أميرنا ضرب عنقه، فقلت: دعه نقدم به على رسول الله ﷺ؛ فلما قدمنا، جعل رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، فأطال، فقال عمر: علام تكلم هذا يا رسول الله؟ والله لا يسلم هذا آخر الأبد، دعني أضرب عنقه، ويقدم إلى أمه الهاوية، فجعل النبي ﷺ لا يُقبل على عمر حتى أسلم الحكم، فقال عمر: فما هو إلا أن رأيته قد أسلم حتى أخذني ما تقدم وما تأخر، وقلت: كيف أرد على النبي ﷺ أمرًا هو أعلم به مني؟! ثم أقول: إنما أردت بذلك النصيحة لله ولرسوله، فقال عمر: فأسلم والله، فحسن إسلامه، وجاهد في الله حتى قتل شهيدًا ببئر معونة، ورسول الله ﷺ راض عنه.[1]!!

---

(١) تفسير البحر المحيط (٢/١٥٣).

وعند ابن سعد أيضًا عن الزهري، قال: قال الحكم: وما الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «تعبد الله وحده لا شريك له، وتشهد أن محمدًا عبده ورسوله»، فقال: قد أسلمت، فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه فقال: «لو أطعتكم فيه آنفًا فقتلتُه دخل النار»(١).

وقد يودي الحماس الزائد، والتصرفات غير المدروسة جيدًا بحياة كثير من المسلمين دون جدوى؛ على نحو ما حدث في عام (١٩٢٠م) حين أفتى «أبو الكلام أزاد» بوجوب الهجرة من الهند إلى أفغانستان؛ لأن الهند دار حرب، ولا يجوز المكوث فيها، وأفغانستان دار إسلام، وتحمس لفتواه ألوف من الفلاحين المعدمين، الذين خرجوا من مواطنهم البعيدة بالهند دون استعدادٍ كافٍ، فمات منهم ألوفٌ جوعًا ومرضًا في الطريق، والذين وصلوا إلى حدود أفغانستان منعوا من تجاوز الحدود إلى داخلها.

ومن كل ما سبق يتضح لنا أن مشكلة الأمة في عقليتها، وأن الإسلام واضح جدًّا، ولا يحتاج لكل هذا الطحن والعجن من علمائه والمنتسبين إليه، نسأل الله الكريم أن يوفقنا لكل خير وأن يصرف عنا كل شر.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٣٧/٤).

الواقع

في رأينا أن سبب سقوط العالم الإسلامي يتمثل في:

سقوط علماء المسلمين، الذي أدى بدوره إلى سقوط طلبة العلم والدعاة، ثم إلى سقوط الصالحين، ثم إلى سقوط عامة المسلمين.

وقد نتج عن ذلك السقوط ما يلي:

- حكام مسلمون ضعاف جائرون.
- تسلط اليهود والنصارى.
- إذلال وحروب اقتصادية.. تسمى حروبًا إسلامية.

وفيما يلي تفصيل القول في واقع كل شريحة من الشرائح السابقة التي أدت إلى السقوط:

الشريحة الأولى: العلماء:

يقول الرسول ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (١/١٢٦) كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه (٥٢)، وفي (٤/٢٩٠)، كتاب البيوع، باب: الحلال بين والحرام بين (٢٠٥١)، وأخرجه مسلم في الصحيح (٣/١٢١٩، ١٢٢٠) كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات (١٠٧/١٥٩٩).

ولسان واقع المسلمين في هذا العصر يقول: ألا إن في الكون مضغة، إذا صلحت صلح الكون كله، وإذا فسدت فسد الكون كله، ألا وهم علماء المسلمين، فبصلاح منهج علماء المسلمين، يصلح المسلم، وبصلاح المسلم يصلح الكون كله، وبفساد منهج العلماء، يفسد المسلم، وبفساده يفسد الكون كله؛ يقول سبحانه: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم: ٤١).

ولا بد أن نعي أنه لا يقوم الدين بدون صلاح العلماء؛ فلن يقوم الدين بالجماعات المسلحة، أو السياسية، أو الفكرية، أو أي تيار كان، فإن كل هؤلاء لا يستطيعون إقامة الدين في حياة الأمة، صحيح أنهم قد يساعدون كما ينبغي في إقامة الدين، لكنهم لا يستطيعون إقامته بمفردهم، أما الذين يقيمون الدين، ويعز الله بهم الأمة هم علماء الشريعة المجاهدون الذين يخشون الله حقيقة لا مراءاة فيها.

فالعلماء الحقيقيون هم الذين يقودون الأمة: حاكمهم، ومحكومهم، والذي يريد النجاة يمشي خلفهم، لماذا؟ لأنهم يتبعون النبي ﷺ في خطواتهم، فإذا تنازلوا، أو انشغلوا أثر هذا الانشغال والتنازل في الأمة كلها.

إذا كان العلماء في رأينا سببًا في سقوط المسلمين، فلا شك أنهم السبب الرئيسي في نهوض العالم الإسلامي لو أنهم نحوا خلافاتهم، ونهضوا بدورهم الحقيقي، في الحديث أن النبي ﷺ قال: «العلماء ورثة

الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا، ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم»[1]، وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن العلماء هم الذين يتحملون المسئولية كاملة بعد الرسول ﷺ، وهذا تكليف وتشريف لهم، ولكن نسبة التكليف أعظم بكثير من نسبة التشريف؛ لأن الأنبياء عليهم السلام لم يورثوا الأسباب الدنيوية، ولكن ورثوا أسباب التمكين في الأرض؛ ولذلك، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مثلاً يحمل صفتين:

- صفة العالم الرباني.
- صفة الخليفة.

فلولا أنه عالم رباني، وورث من النبي ﷺ فقه التمكين في الأرض، لما أنفذ جيش أسامة رضي الله عنه مع وجود الظروف المعقدة والحرجة التي أحاطت بوفاة الرسول ﷺ.

وهذه هي حقيقة الإرث الذي ورثه أبو بكر الصديق رضي الله عنه من النبي ﷺ ولم يرث عنه قوة الأسباب، والتخطيط، والتنظيم،

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٦/٥)، والدارمي (٩٨/١) وأبو داود (٣١٧/٣) كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، (٣٦٤١)، وابن ماجه (٨١/١) المقدمة، باب فضل العلماء، (٢٢٣)، وابن حبان (٨٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٩٨٢)، وابن عبد البر، ص (٣٩ ٤١).

وذكر البخاري في كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، عبارة: «وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة». قال الحافظ في الفتح (٢١٦/١) طرف من حديث أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن حبان والحاكم مصحَّحًا من حديث أبي الدرداء؛ وحسنه حمزة الكناني، وضعفه عندهم سندُه، لكن له شواهد يتقوى بها، ولم يفصح المصنف بكونه حديثًا؛ فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأن له أصلًا، وشاهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (فاطر: ٣٢).

والمناهج الحضارية، ولم يتعلم منه كيف تفوقت الدول والحضارات على بعضها البعض، ولكنه ورث من النبي عليه السلام قوة أمر الله، وقوة سنة الرسول ﷺ، مع أن كبار الصحابة رضي الله عنهم عارضوا إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه لأن موازين القوى قد تغيرت بوفاة الرسول ﷺ، ولأن أسامة بن زيد كان صغير السن وكانت خبرته في الحروب لا تؤهله لقيادة الجيش في ذلك الوقت، وبالإضافة إلى أن بعض العرب قد ارتدوا عن الإسلام، وبخروج الجيش من المدينة لا يبقى فيها إلا النساء والصبيان، ومن ثم قد تتعرض المدينة للخطر، لا سيما مع وجود المتربصين من المنافقين وغيرهم.

لهذا كله اتفق الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأوفدوا عمر رضي الله عنه، ليثني أبا بكر عن إنفاذ جيش أسامة، ولما رأى عمر أبا بكر مصرًّا على إنفاذ الجيش، قال له: إذا كنت مصرًّا على إنفاذ الجيش فغير أسامة من قيادة الجيش، فضربه أبو بكر ضربة على صدره، وقال له: أجبارًا في الجاهلية، خوارًا في الإسلام يا عمر، ما كان لابن أبي قحافة أن يغير أميرًا أمّره رسول الله ﷺ، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ»[1].

وهذا يدل على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يحمل فقه الأزمات، وهذا الفقه لا يؤخذ من حضارة الشرق، ولا من تخطيط الغرب، ولكن يؤخذ من كتاب الله، وهدي رسوله ﷺ، وحياة الصحابة الكرام، رضي الله عنهم.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية (٦/٣٠٤).

ولم يقتصر الأمر على أبي بكر، بل إن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين قد جمعوا بين الفقه في الدين والخلافة، ومن ثم سادوا الدنيا، ومكنوا لدين الله تعالى فيها.

ومن أراد أن يقف على خطر وأهمية دور العلماء في الأمة، فليقرأ قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩) ، وأولو الأمر هم العلماء، كما يتضح من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (النساء: ٨٣) ، والذين يستنبطونه هم العلماء، وليسوا الحكام ومن هنا: إذا كان الحاكم عالمًا بالشريعة وجب السمع والطاعة له، وإذا كان الحاكم جاهلاً بالشريعة، فهنا ترجع الأمة للعلماء؛ لأن العلماء هم الذين يوضحون للأمة فضائل الإسلام والإيمان ويدعونها إلى طاعة الحاكم إذا لم يأمر بمعصية الله.

وبناءً على ذلك يكون الحاكم تابعًا للعلماء؛ كما وضح د. بسام الصباغ في مشاركته التي سيأتي نصها فيما بعد، حيث أكد على أن تكون المؤسسة السياسية تابعة للمؤسسة الدينية لا العكس، ولكن الذي فات د. بسام وغيره: أن عدم استقلال المؤسسة الدينية في الوقت الحاضر، ليس سببه قوة المؤسسة السياسية بقدر ما هو ضعف المؤسسة الدينية المتمثل في العلماء؛ ولذلك ينظر كثير من الناس إلى ظلم المؤسسة السياسية، وقليل منهم ينظر إلى ظلم العلماء لأنفسهم أولاً، ثم لأمتهم ثانيًا.

والمقولة التي تقول: إن الشعوب على دين ملوكها ليست بصحيحة، بل الشعوب على دين علمائها، لأن القدوة هم العلماء، وليس الحكام، ولكن السؤال هو: متى يقوم العلماء بتحمل مسئولياتهم تجاه أمتهم؟ إنهم لن يستطيعوا ذلك إلا إذا زهدوا في الدنيا أولًا وابتعدوا عن الحكام ثانيًا إلا فيما دعت إليه الضرورة؛ كنصيحتهم، وإظهار الحق لهم وتخويفهم بالله، وتذكيرهم، لأن هدية العلماء إلى الحكام هي النصيحة؛ على حد قول الإمام الغزالي، رحمه الله تعالى وليس التطبيل لهم وتبريز أعمالهم، وإذا فعل العلماء ذلك كانوا صمام أمان للأمة، ينبهون المقصر ويعلمون الجاهل، ويسعون في رد المظالم، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

ولو أنهم فعلوا ذلك لسادوا الدنيا بعلمهم؛ كما أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لو أن أهل العلم صانوا العلم، ووضعوه عند أهله، لسادوا أهل زمانهم»[1]، ولكن علماء اليوم لم يصونوا علمهم، وإنما وضعوه عند أهل الدنيا؛ لينالوا من دنياهم، فهانوا عليهم.

والنبي ﷺ يقول: «من جعل الهموم همًّا واحدًا هَمّ المعاد كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديته هلك»[2].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إياكم ومواقف الفتن!!» قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه»[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن (٩٥/١) حديث رقم (٢٥٧)، والبزار في مسنده (٦٨/٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٥/٢)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١٧٤/٣٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٧٥/٢) برقم (٤١٠٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣١٦/١١)، والبيهقي في الشعب (٤٩/٧).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن على أبواب السلاطين فتنًا كمبارك الإبل، والذي نفسي بيده، لا تصيبون من دنياهم شيئًا إلا أصابوا من دينكم مثله أو مثليه»[1]، ويقول سفيان الثوري رحمه الله: «ما ازداد الرجل علمًا، فازداد من الدنيا قربًا، إلا ازداد من الله بعدًا»[2].

وروى أبو داود، والبيهقي أيضًا عن أبي هريرة مرفوعًا «وما ازداد أحد من سلطانه قربًا إلا ازداد من الله بعدًا»[3]، وذلك لأن السلاطين لا يريدون غالبًا النصح وصراحة القول، فلا يتقرب منهم إلا المراءون عادة، والله عليم واسع العلم بأحوال خلقه.

وقد وصل الأمر إلى أن بعض طلبة العلم قد تأثر فيما يبدو بالفنانين ولاعبي الكرة، وقام واعتزل الدعوة، ولولا تدخل بعض المسئولين كما سمعنا، لكان الآن يكتب مذكراته، فهل هكذا يكون العلماء، وطلبة العلم؟!

إن المشكلة التي يعيشها العالم الإسلامي الآن هي التعويل على الحاكم؛ لأننا نعتقد أن الحكام هم الذين أوصلونا إلى هذا السقوط ولكنّا نرى أن الحكام على سوئهم ليسوا من أسباب سقوط العالم الإسلامي؛ بل هم نتائج لما اقترفته الأمة بقيادة العلماء؛ وفي الحديث: «كما تكونوا يولى عليكم، فإذا اتقيتم الله، وخفتم عقابه، ولى عليكم من يخافه فيكم»[4].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣١٧/١١)، والبيهقي في الشعب (٤٩/٧).

(٢) طبقات الحنابلة (١١٤/٢)، والآداب الشرعية (٢٣٢/٢).

(٣) أخرجه أبو داود (١١١/٣) رقم (٢٨٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠١/١٠).

(٤) أخرجه الشهاب في مسنده (٣٣٦/١) رقم (٣٧٢)، وذكره الهندي في كنز العمال (٣٦/٦) وقال: رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي بكرة والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي إسحاق، وأورده العجلوني في كشف الخفاء (١٢٦/١) قال في الأصل: رواه الحاكم ومن طريقه الديلمي عن أبي بكرة مرفوعا وأخرجه البيهقي بلفظ: «يؤمر عليكم» بدون شك وبحذف أبي بكرة، فهو منقطع.

وفي بعض الكتب المنزلة: «أنا الله ملك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد إذا أطاعوني، جعلتهم عليهم رحمة، وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطفهم عليكم»[1].

وإذا كان الاستبداد والظلم الذي تعاني منه الشعوب الإسلامية في ظاهره هو نتيجة أوامر الحكام فهو في حقيقته راجع إلى فساد العلماء الذين تركوا منهاج النبوة؛ كما في حديث إياس بن سلمة بن الأكوع: أن أباه حدثه: «أن رجلاً أكل عند النبي عليه السلام بشماله، فقال له الرسول ﷺ: كل بيمينك، قال: لا أستطيع، فقال له الرسول ﷺ: «لا استطعت، فما رفعها إلى فيه، ما منعه إلا الكبر»[2] فَشُلَّت يَدُه، وهذا الشلل واضح الآن لكل متأمل لحال الأمة، وهو ليس بسبب الاستبداد السياسي كما يقول البعض بل سببه الأول هو الاستبداد الشرعي، المتمثل في العلماء؛ لأنه لا يعقل أن يطلب من الحكام أو غيرهم توضيح السنة للناس؛ فعلى العلماء أن يذهبوا للناس، ويرغبوهم فيما أعد الله لهم؛ إذا هم أطاعوه ويخوفوهم الوعيد إذا هم عصوه.

ومن المضحكات المبكيات: أن بعض العلماء لا يذهبون للنوادي والمخيمات لإلقاء الدروس والمحاضرات؛ بحجة تنزيه كلام الله، وأن الدعوة فقط في المساجد، ولم يلتفتوا لقوله عز وجل: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ (الفرقان: ٧)، والمعروف أن الرسول ﷺ كان ذهابه إلى السوق من أجل الدعوة.

---

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية (٢/٣٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٥٩٩) كتاب الأشربة، باب: آداب الطعام، والشراب، وأحكامهما، رقم (١٠٧/٢٠٢١).

وثبت عنه ﷺ أنه كان يغشى مشركي مكة في نواديهم ومجالسهم.

وقلما تجد الآن بيتًا من بيوت المسلمين إلا ودعاة إبليس قد دخلوا إليه عن طريق جهاز (الدش) حتى وصلوا إلى غرف نوم المسلمين من خلال مئات القنوات الفضائية التي تبث كل شر، ولن نستطيع مواجهة هذا المد الشيطاني إلا بمد رحماني، رامين خلف ظهورنا الورع الذي ليس هذا مكانه ولا محله، ومتأسين بفعل الرسول ﷺ في دعوته لمشركي مكة بجانب الكعبة المشرفة، وحولها مئات الأصنام، ولم تمنعه التقوى والورع والزهد، والطهارة، والعفة، وكل هذه الخصال العظيمة التي كان يتمتع بها ﷺ على أتم ما تكون في بشر، لم تمنعه كل هذه الصفات من دعوة أمته والذهاب إلى أي بقعة يتواجد بها إنس أو جان.

فعلينا التأسي بالنبي ﷺ وندع أوهامنا وآراءنا، التي لا تستند إلى دليل؛ إذ لا نجاح للأمة إلا باتباعه ﷺ، وعن علي رضي الله عنه أنه ذكر فتنًا تكون في آخر الزمان، فقال له عمر: متى ذلك يا علي؟؟ قال: «إذا تفقه لغير الدين، وتعلم العلم لغير العمل، والتمست الدنيا بعمل الآخرة»[(١)].

وبعض العلماء يتقرب من السلطان بطرق غريبة ومريبة، بحجة أنه يدعوه أو يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر.

وبعضهم ينزل الأسواق يوميًّا للبيع والشراء والعقارات، ويقول: نحن نتغشى الأسواق كما كان الرسول ﷺ يفعل في مكة، وهم يعلمون أن النبي

---

(١) الترغيب والترهيب (١/٦٧)، والزواجر (١/١٧٣).

ﷺ كان يقيم أمر الله في نزوله، وهم يقيمون مصالحهم، ولذلك يحرمون كل ما يحرمه السلطان إلا إذا تعارض مع مصالحهم، فهناك حاكم من حكام المسلمين أمر بمنع الحجاب في بلده، وعندما سئل علماء هذه البلد. قالوا: ما قاله حاكمنا صحيح؛ إن الحجاب عادة جاهلية، وليست إسلامية، فصاروا يبررون أعمال الحاكم، فهل هؤلاء ورثة أنبياء؟!!

ولما كان جميع ما يصدر عن العلماء يصب في مسامع وقلوب طلابهم كان سقوط الشريحة الثانية على النحو التالي:

الشريحة الثانية: طلبة العلم والدعاة:

لقد أثر علماء هذا العصر في طلابهم ومريديهم، فأخرجوا لنا طلبة علم ودعاة يجمعون بين المتناقضات، وكل منهم يعد نفسه على حق، ويرى غيره على باطل، وأصَّل أكثر العلماء لطلابهم احتقار الآخر، وليس احترامهم.

وهذه المناهج التي بثها العلماء كما يقولون لإصلاح المجتمع هي في الحقيقة سموم تبث من كثير من علماء المسلمين من جميع الطوائف الإسلامية، تزيد من الفرقة والاختلاف، حيث صار لكل عالم رأي مخالف للآخر إلى درجة التصادم، وراحوا يشغلون الأمة الإسلامية بفروع الفروع، ولا شك أنه عندما تنشغل الأمة بالفروع فإنها تنسى الأصول من حيث يدرون أو لا يدرون، هداهم الله.

فها هو عالم من العلماء ألف كتابًا عن الصلاة، وذكر فيه بعض الأدلة التي توضح كيفية السجود في الصلاة، وأن السنة النزول على اليدين،

وليس على الركبتين، ويا ليته اكتفى بذلك، بل زاد أن الخرور على الركبتين في الصلاة بدعة، ورد عليه علماء آخرون بأن السنة أن الخرور يكون على الركبتين وليس على اليدين.

وها هم جماعة أخرى من طلبة العلم يرون أن السنة في صلاة التراويح في رمضان ثماني ركعات، ويستدلون ببعض الأحاديث، وهذا أمر مطلوب ورائع، ولكن المشكلة عندما تجعل من يصلي بأكثر من ذلك مبتدع، مع العلم أن الذين يصلون بأكثر من ثماني ركعات، لديهم أدلة على ذلك.

وبمثل هذه الفروع يزداد الخلاف والشقاق بين الأمة، وتنقسم فرقا لا حصر لها؛ كل فريق لديه طلابه وله أنصاره وكلٌّ معجبٌ بشيخه، يرى أن شيخه على حق وغيره على باطل وجهل وبدعة.

ونحن نقول لهم: إذا رأيتم شيخكم على حق، فهذا لا شيء فيه، ولكن أن تجهلوا، أو تبدعوا من يخالف شيخكم، فهنا تبدأ المعارك الشيطانية التي خلفها بعض العلماء لطلابهم تحت اسم الخوف، أو الحفاظ على السنة، وكأن السنة ماركة تجارية لا يجيدها إلا هو، ونسي أن جميع العلماء يقولون بالخوف على السنة، وكأن لسان حال بعض العلماء وطلابهم: أن جبريل نزل عليهم، ولم ينزل على الباقين؛ فكانت هذه الحلقة الثانية المتناحرة المتفككة التي لا تبحث عن الحق بقدر ما تبحث أنها على حق، وهؤلاء أثروا في الحلقة التي بعدهم، وهي حلقة الصالحين؛ على النحو الآتي:

الشريحة الثالثة: الصالحون:

وهؤلاء ليسوا بمصلحين، ولا دعاة، ولا طلبة علم، ولكنهم صالحون في أنفسهم، بعضهم ملتحون وبعضهم غير ذلك، تراهم محافظين على الصلوات في المساجد وعلى قراءة القرآن والصيام، وتجدهم جاهزين للتطبيل، والمشاركة في المظاهرات إذا حصلت، وهم فروع:

فمنهم من هو مستعد لجميع الأعمال التي يظنها أعمالًا دينية حتى وإن كانت إرهابًا كما يقال، وبعضهم مهتم بنفسه، وأبنائه فقط، وبعضهم يشارك مشاركة أوسع من ذلك، أو أقل، وهم يرددون الكلام الذي يسمعونه أو يقرءونه فإذا سمعوا أن هذه الدولة تحارب الإسلام، قالوا مثل ذلك، وإذا قرءوا أن هذا الحاكم ضد المسلمين يقولون فعلًا هذا الحاكم ضد الإسلام، مثل ما يسمعون يرددون بمنتهى السذاجة، وأي فتوى تصدر من الجهات التي يحبونها فهم أول الداعين لها وأي فتوى تصدر من الجهات التي لا يحبونها هم أول المعارضين لها.

وجميع من ذكرنا من الحلقات: العلماء، وطلبة العلم، والدعاة والصالحين هم الذين خرّجوا عامة المسلمين، وتسببوا في سقوطهم على النحو الآتي:

أثرت الشرائح السابقة في عامة المسلمين تأثيرًا بالغًا؛ لأن العامة بطبيعتهم يحبون الإسلام، ولكن إذا نظروا لمن قبلهم من الحلقات التي ذكرناها وجدوا هناك فجوة كبيرة بينهم فلا يجدون فيهم أخلاق الإسلام ولا معاملاته ولا معاشراته، ومن ثم يرون أن الإسلام لن يحل مشاكلهم بسبب ضعف علمائه ودعاته الذين لم يقدموا لهم منهجًا يروي

غليلهم، كل هذا مع وجود دعوات معاكسة منظمة مرتبة، ومن ثم شرّق العوام وغربوا، فخرجت شرائح الفنانين، والرياضيين، والليبراليين، والعلمانيين، وغيرهم.

ولا نقصد هنا جميع العوام، لأن فيهم المعتدلين والأخيار، ولكن نقصد الذين انتقصوا دينهم وعابوه؛ وهؤلاء نحن الذين أخرجناهم، ولم يخرجهم الشرق، ولا الغرب، خرجوا لأن الساحة خلت لهم، والبعض يتصور أن الرد عليهم في الصحف وغيرها يغير من هذه المناهج.

ونحن نرى أن هذه المناهج لن تتغير، وأن هذه الردود لن تحدث شيئًا يذكر ولن يمكن التغيير إلا إذا استيقظ العلماء وقدموا المنهج الصحيح للأمة، وشاركوا في الحياة الخاصة والعامة؛ فإن الجميع حينئذ سوف يقتدي بهم ويتبعهم، وهي قاعدة مهمة جدًّا ذكرها الله في كتابه ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ (الإسراء: ٨١)، فأين الحق يا أهل الحق حتى يزهق الباطل.

والمأساة أن أحوال المسلمين هي التي تخرج الآراء الباطلة التي يجتهد المسلمون في محاربتها؛ فنحن نخرجها، ونحن نحاربها، ونقدم مثلًا بسيطًا حتى تتضح الصورة:

رجل درس في بلاد الكفر درجة علمية، وعند حدوث أي مشكلة له في هذه البلاد التي درس فيها كان يذهب إلى محاكم هذه البلاد التي لا تعترف بالإسلام ويعطى موعدًا على سبيل المثال التاسعة صباح الاثنين، وعند حضوره يجد القاضي الكافر قد حضر، وتكلم معه بمنتهى الأدب والاحترام وأخذ حقوقه كاملة إن كان له حق في الجلسة نفسها أو في جلسة أخرى لا يفصل بينها وبين الجلسة الأولى إلا أيام قليلة محدودة.

وعندما عاد هذا الرجل إلى بلاد المسلمين، حدث لأخيه أمر اضطره للحضور للشهادة في المحكمة التي تمثل الإسلام، وكان الموعد يوم الأحد الساعة العاشرة، فحضروا عند الموعد المذكور، وانتظروا إلى الساعة الواحدة ظهرًا، ولم يحضر القاضي، وأخذوا موعدًا آخر، وهكذا إلى أن مرت خمس سنوات، ولم تنته هذه القضية، فقال هذا الرجل: هل هذا هو الإسلام، أم الذين يمثلونه؟!!

الطرفة في الموضوع أن هذا الرجل قال لبعض زملائه في العمل: علينا أن نفصل الدين عن الدولة، بسبب ما رأى في المحكمة التي تمثل الإسلام، عندئذٍ قيل له: أنت علماني كافر، تستورد الأفكار الغربية.

وهكذا نحن نشارك في إصدار الأحكام ضد أي فكر غريب، ولكن لا نشارك في حل هذه الإشكاليات، لا نحاول أن نعرف لماذا شرّق الناس وغرّبوا، وانحرفوا عن منهج الإسلام.

الواضح الآن أن هناك خمس حلقات أوصلت الأمة إلى هذا السقوط، وكل حلقة أثرت في الأخرى، ولا يوجد حل لإخراج الأمة من هذا الوحل إلا بصلاح رسالة العلماء، وأول هذا الصلاح الزهد في المال، والمناصب، وحب الظهور، والذي لا يستطيع أن يزهد عليه أن يتنحى؛ حتى لا يكون عثرة في سبيل الإصلاح.

ونقول للعلماء: بصلاحكم يصلح طلبة العلم والدعاة، وبصلاح طلبة العلم والدعاة، يصلح الصالحون، وبصلاح الصالحين يصلح عامة المسلمين.

ونلاحظ تهافت جميع الشرائح إلى الإسلام مرة أخرى، وسوف نرى بإذن الله تعالى سقوط الفساد وعودة الناس إلى الدين، وعلى رأسهم الحكام.

كما نقول للعلماء أيضاً: إنه بفسادكم أو فساد مناهجكم يفسد طلبة العلم والدعاة، وبفساد طلبة العلم والدعاة يفسد الصالحون، وبفساد الصالحين يفسد المجتمع، ويخرج منه ما نراه الآن من الأفكار الباطلة، والآراء الهدامة.

وتكون حروب تلقب بأنها حروب إسلامية، وهي حروب اقتصادية وغيرها، ولا يوجد في نظرنا حروب ضد الإسلام لسبب بسيط جدًّا: أنه لا يوجد إسلام حقيقي، وإنما يوجد إسلام صوري على ما سبق بيانه والحروب الصليبية، أو اليهودية، أو أي حرب دينية إنما تكون ضد الإسلام الحقيقي، وليست ضد الإسلام الصوري.

المأمول

لكي ينهض العالم الإسلامي، لابد من تحقق عدة عوامل، منها: صلاح منهج علماء المسلمين، بما يؤدي إلى صلاح منهج طلبة العلم والدعاة، ويقظة الصالحين؛ فتذوب شريحتهم مع شريحة عامة المسلمين؛ ليكونوا معًا شريحة واحدة تنهض بالعالم الإسلامي، ومن ثم ينتج عنه حكام مسلمون أقوياء وعدول، يرفعون راية الجهاد لإعلاء كلمة الله.

ونقول: إن عودة العلماء إلى المساجد سوف تؤدي إلى عودة الأمة بداية بطلبة العلم والدعاة؛ فينشأ جيل صالح صلاحًا حقيقيًّا لا تشوبه شائبة، يؤثرون في الأمة تأثيرًا بالغًا، تظهر آثاره في وجود حكام عدول: يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويسمعون للعلماء، بل ويهابونهم؛ لأن العلماء يخشون الله، فلابد أن يخشاهم غيرهم؛ ولأن صلاح الأمة في صلاح العلماء وفسادها في فسادهم، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسًا جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

والأمة الآن في ضلال، وهذا دليل على عدم وجود علماء ربانيين ونحن ندعو الله تعالى أن يوجد هؤلاء العلماء؛ لأنه بوجودهم يرفع الضلال عن الأمة التي هي في ذل الآن، ولن يرفع هذا الذل حتى تعود إلى دينها، كما جاء في الحديث، وعلى ما سبق بيانه، ولن تعود الأمة إلى دينها حتى يعود علماؤها إليه أولًا؛ فقد قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا رآها الناس اقتدوا بها وإذا عميت عليهم تحيروا»[1]، وكما قال أبو الأسود الدؤلي: «ليس شيء أعز من العلم؛ الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك»[2].

ولا أعتقد أن يكون في الأمة ضلال وحيرة مع وجود العلماء الربانيين، ولا نريد أن نستدل بأكثر من هذا، ويكفي أننا إذا قسنا على ذلك جميع الأدلة الواردة في القرآن والسنة لوجدنا أن الأمة لا تضل وفيها علماء.

فيتبين لنا مما ذكر: أن العلماء هم من أوصلوا الأمة إلى هذا السقوط ليس الشرق ولا الغرب، وليس اليهود ولا غيرهم.

وعلماء الأمة كما هو معلوم ثلاثة أقسام:

أمة، دولة، ملة.

ونحن نرى الآن علماء الأمة يرفعون أصواتهم في الخطب والمواعظ وسوف يفعلون، ويفعلون، ويقاطعون البنوك.. إلى آخر كلامهم الخاص بقضايا المسلمين، فتسمع التكبير من الحاضرين، والتصفيق، والهتافات أحيانًا.

---

(١) الآداب الشرعية (٢/٣٧).

(٢) إحياء علوم الدين (١/٧)، والمدخل (١/٦٩).

وعلماء الدولة الذين تبدأ دروسهم وهم يثنون على الحاكم أكثر من ذكرهم الله عز وجل.

أما علماء الملة فلا نراهم، صحيح هناك علماء صادقون، ولكن أين هم؟ لا توجد علامة لنعرفهم بها، وصار الناس يعتقدون أن من أدخله الحاكم السجن فهذا دليل على صدقه، ومن تربع إلى جانب الحاكم فهذا دليل على كذبه، وهذه معادلة غير صحيحة؛ لأن الأعمال بالنيات، وليست بالسجون، وهناك حديث حذيفة في صحيح مسلم الذي أشكل على كثير من الناس وهو «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»[(1)]، ويستدل به علماء الدولة لصالحهم مع أن المعنى الحقيقي للحديث أنك تنصح الحاكم، وتقف أمامه بقوة من أجل الإسلام ومصالح المسلمين، فيغضب الحاكم، فيأخذ مالك ويجلد ظهرك، فعليك بالصبر، وتحمل الأذى، وعدم الخروج عليه، وهذا معنى الحديث.

وهذا هو الجدير بالعلماء، وهذا ما نريده منهم، نريد منهم أن يخافوا على دينهم، لا على دنياهم.

فإنك عندما تتأمل النصوص الشرعية في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، تجد أن أعظم أمر يقر في قلب العالم هو الخوف من الله، والخوف على مصالح الإسلام والمسلمين، وأن أكبر مصيبة تصيب الإسلام هي أن يقر في قلوب العلماء الخوف على المصالح الدنيوية.

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (١٤٧٦/٣) برقم (١٨٤٧).

وها نحن نرى الغرب، وقد صنعوا كل شيء، وبرعوا في الطب، وفي العلوم كلها، وروضوا الحيوانات المفترسة، حتى يرى المشاهد لأفلامهم أشياء قد لا تصدق؛ كأن ترى حيوانًا مثل الأسد يؤدي مشهدًا تمثيليًّا بمنتهى الدقة.

ونحن لا نريد أن نصنع مثل هذه المشاهد، وإنما نتمنى أن يوجد لدينا علماء شريعة لديهم القدرة على ترويض شعوبهم لطاعة الله مثل ترويض الغرب الأسد لأداء ما يريدون، مع أننا نعترف أن بعض العلماء استطاعوا أن يروضوا بعض شرائح المجتمع لطاعة الحاكم وليس لطاعة الله، وبعضهم روضهم لمصلحة الحزب.

والفرق بين مدرب الحيوان في الغرب، ومدرب المسلم في الشرق: مدرب الحيوان عرف ما الذي يغضبه؟ وما الذي يحبه؟ فركز في تدريبه على ما يحب، ليكسب ود هذا الحيوان المفترس، فكانت الطاعة العمياء من قبل هذا الحيوان.

لكن مدرب المسلم اجتهد في تضليله، حتى خرج على الأمة خوارج يفسقون كل من خالفهم، ووثنيون يطوفون حول القبور، وثوريون يشاركون في المظاهرات؛ للحصول على حقوقهم، وأنت عندما تنظر إلى المظاهرات ترى من هم ثائروا الرأس واللحى، يريدون أن يدمروا كل من يواجههم، فألصقوا بالأمة تهمة الإرهاب، والإسلام منهم بريء.

وعندما لم تفلح هذه المظاهرات، ولم تأت بالثمرة المرجوة منها كانت هناك نصيحة من بعض المروضين أن يخرجوا في مسيرات، ولكن صامتة.

وفي المستقبل سوف يخرج علينا من يقول: اخرجوا، ولكن وأنتم ترقصون؛ لأنهم قاموا بمظاهرات صاخبة فلم تجدِ؛ وقاموا بمظاهرات صامتة ولم تجدِ، وإذا رقصوا لن يجدي أيضًا.

ونحن نتمنى أيضًا أن يجد المسلمون والعلماء حلًّا لخلافاتهم التي تجعل كلًّا منهم ينتقد الآخر، يدعي أنه هو الذي يتبع السنة النبوية، وأما غيره فمبتدع ضال.

ووصل بالبعض أن تشدد إلى درجة أن يقول بعضهم: إن عبارة (كل سنة وأنت طيب) بدعة، والآخر يتساهل ويقول: الطواف بقبور الصالحين سنة. وذاك يقول: إن صلاة التراويح لو زادت على ثلاث عشرة ركعة كانت بدعة وضلالة، وآخر يقول: إن صلاة الليل مثنى مثنى كما جاء في الحديث، ثم بعد ذلك تجد الجميع يقولون: نحن أمة وسط، مما جعل الناس يتحيرون في شأن هذه الوسطية.

إننا نتمنى ونأمل أن ينتفض العلماء، ويعودوا إلى المساجد، لتربية الأمة كما رباها نبينا الكريم ﷺ، وكما أن تربية الحيوانات تكون في الحديقة والحقل، وتربية الممثلين في الفضائيات، وتربية المخترعين في المختبرات، فإن تربية المسلم لا بد أن تكون في المسجد ولا شيء غيره.

إن مثل الأمة وعلمائها في هذا العصر مثل الرماة في غزوة أحد عندما جعلهم الرسول ﷺ على جبل أحد؛ لحماية الجيش، وقاموا بعملهم على أكمل وجه، وانتهت المعركة في نظرهم مع أنها لم تكن انتهت حقًّا، ولكن

الغنائم هي التي جعلتهم يجتهدون اجتهادًا مرتبطًا بها، فنزلوا من فوق الجبل، ليسوا عاصين، ولكن مجتهدين رضي الله عنهم وحدث ما حدث من هزيمة جيش عظيم يقوده خير البشر ﷺ، وهكذا علماء المسلمين الآن قد نزلوا من أعلى الجبل وتركوا مسئوليتهم الأساسية، ونسوا أنه – وهي قاعدة مهمة – إذا ترك علماء الأمة ونقصد علماء الشريعة تحديدًا المسئولية التي شرفهم الله بها من أجل المصالح الدنيوية، فعلى الأمة السلام.

نتمنى أن يفيق علماؤنا من غفلتهم ويصونوا علمهم ويعملوا به، فتخضع لهم رقاب الجبابرة وينقاد لهم الناس؛ على حد قول الفضيل بن عياض رحمه الله: لو أن أهل العلم شحوا على دينهم، وكرموا العلم، وصانوه، وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة، وانقاد لهم الناس.

فعلى جميع إخواننا مساعدة العلماء في عودتهم إلى المساجد؛ ليقوموا بدورهم المنوط بهم.

وهنا قد يقول قائل:

إننا نرى العلماء في المساجد في أوقات الصلاة، وبعضهم له درس شبه يومي.

ونحن نقول لمن يقول ذلك: إن عوام المسلمين نراهم أيضًا في المساجد، ووجود العلماء في المساجد – كما تقول – قد صار مثل وجود هؤلاء العوام، وهو ما لا نريده، وإنما نريد خاصية يختص بها العلماء، وهي أن يجعلوا المسجد بيت كل تقي، والمقصود بـ (بيت) هنا: أن يكون جل وقت

العالم في المسجد، اقتداء بالرسول ﷺ وصحبه الكرام والتابعين ومن بعدهم الذين كانت حياتهم في المساجد.

ونحن هنا لا نقصد إدانة العلماء، وإنما قصدنا فقط أن نذكرهم بمسئوليتهم أمام الله.

وهذا هو المنهج الذي نعتقد أنه الصواب في الخروج من المأزق الذي ابتليت به الأمة أن يقوم العلماء - وخاصة العلماء الذين تخطوا سن التقاعد - بالتبكير إلى المسجد صباحًا، والجلوس به ثماني ساعات متواصلة كما كانوا يفعلون قبل التقاعد، والمثابرة والصبر على ذلك وتقسيم الوقت للدرس، والدعوة، والعبادة، وقضاء حوائج الناس.

فعلى سبيل المثال: لو جلس العالم ولم يحضر أحد الدرس في الصباح؛ بسبب الانشغال ووجد العالم شخصًا لديه مشكلة خاصة أو عامة، وقام هذا العالم من باب «اشفعوا تؤجروا»[1] وذهب معه وقضى له حاجته؛ فإن هذا العالم سينال فضل قضاء حاجة أخيه المسلم، وهو كما جاء في الحديث الآخر عن ابن عباس[2] في فضل قضاء حاجة المسلم: أنها خير من اعتكاف عشر سنين، سواء قضى هذا الأمر أم لم يقضه، وفي

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٣٥١) في الزكاة، باب التحريض على الصدقة (١٤٣٢)، (١٠/٤٦٤) في الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا (٦٠٢٧)، وباب قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾، (٦٠٢٨)، (١٣/٤٥٦) في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (٦٤٧٦)، ومسلم (٤/٢٠٢٦) في البر والصلة، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام (١٤٥/٢٦٢٧).

(٢) ولفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله عز وجل جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، كل خندق أبعد مما بين الخافقين».

أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/٢٢٠، ٢٢١)، رقم (٧٣٢٦)، وأخرجه الحاكم (٤/٢٧٠)، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/١٩٥)، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: وإسناده جيد.

المقابل سوف يفرح هذا الشخص الذي قضيت حاجته، ويزداد ارتباطه بالمسجد، وهكذا مع تكرار الأمثلة والحالات يعود الناس إلى المساجد بسبب هذه الخدمة التي قدمت لهذا الإنسان البسيط، وهنا يستغل العلماء قدوم الناس لقضاء مصالحهم الشخصية بتذكيرهم وتعليمهم، وتفقد أحوالهم في الحي الذي يسكنونه ومعرفة المصلي، المريض، المسجون، المحتاج، الأرامل، والأيتام ومساعدتهم... إلخ، فإذا قام عالم واحد في مسجد وفعل ذلك فسوف يعود كثير من الناس إلى المساجد، فهناك كثير من الشباب الضالين الذين يبحثون عمن يمد لهم يد العون ويرشدهم، وسوف تجد من يتسابقون ويتنافسون لمساعدة هذا العالم الصادق، وسوف يساعده الله قبل الناس، ولكن أين هذا العالم الصادق؟

والدولة أيًّا كانت سوف تقف ضعيفة أمام هذا العالم الذي يساعد المواطنين دون مقابل، ويحترم ويقدر المسئولين، ولا ينزع يد الطاعة، بل إذا استمر لا نقول سنوات بل شهورًا – في عمله هذا فسوف نرى كيف يبدأ التغير، وأول من يصيبه رشاش هذا التغير هم طلبة العلم، وسوف تسمح له الدولة بحل كثير من مشكلات الحي الذي يسكنه، بل قد يتعدى الأمر إلى أكثر من ذلك؛ فيرجع كل من لديه مشكلة إلى هذا العالم ليحلها له، وبهذا يزداد تأثير العالم في الناس.

وهذا أمر ليس غريبًا أو مستحيلًا، فطبيعة البشر أنها أسيرة الإحسان، فلو تحرك أكثر من عالم، وطالب علم لخدمة المجتمع في أوقات فراغهم بالنسبة لغير المتفرغين، وفي أوقاتهم الرسمية بالنسبة للمتفرغين، فكيف ستكون النتائج؟!

فعلى سبيل المثال: لو حضر شخص ما إلى المسجد، وقال: هناك دولة من دول المسلمين أصابها ما أصابها، فسوف يقوم هذا العالم بدوره المنوط به في جمع التبرعات، وهو مصدر ثقة لدى المسئولين فلا يحتاج إلى التحقق من صدقه، وسوف يقوم بترغيب الناس في الصدقة، وجميع الأعمال الصالحة؛ ليرفع الله الغمة عن المسلمين؛ بدلًا من الكلام الغريب الذي نسمعه الآن: مسيرة صامتة، ومسيرة باكية، وشتائم لا تغير شيئًا من أحوال المسلمين.

فلو نزلت نازلة بدولة مسلمة واجتمع العلماء من الأحياء والمدن كافة، وذهبوا إلى الحاكم وأوضحوا له ما حدث؛ لأصدر الحاكم القرارات اللازمة، ولن يستطيع أن يواجه كل هذا الجمع من العلماء؛ لأن الله جعل لهم هيبة في قلوب أعدائهم نتيجة لأعمالهم الصالحة التي قاموا بها؛ ولأنهم لا يقبلون هدايا الحاكم، ولا ينتظرون جزاءً ولا شكورًا من أحد.

ولا يكون هذا إلا بتحقيق الدين الصافي، فعندما ننظر إلى علمائنا، ونجدهم متراحمين، صادقين، منافحين عن الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، زاهدين في الدنيا، راغبين في الآخرة وفيما عند الله تعالى، يحبون للمسلمين ما يحبون لأنفسهم، عندئذٍ يتحقق الدين الصافي في المسلمين؛ لأنهم سيرون ورثة الأنبياء عليهم السلام رأي العين حقيقة، وليس مجرد مطالعة في الكتب.

ولننظر إلى حياة الرسول ﷺ وهذا الكلام موجه لنا جميعًا، ما الطرق التي انتهجها وفعلها بعد أن نزل عليه جبريل، ونزل خائفًا من الغار، وهو يقول لخديجة رضي الله عنها: «دثريني دثريني»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري مختصرًا (٦/٤٨٦) كتاب الأنبياء، باب: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾، ومسلم (١/١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢)، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي (١٦٠ – ٢٥٢).

كان أمام النبي ﷺ مجتمع يحمل كل أنواع الضلال، والجهل، والشرك، ومئات الأصنام إلى جانب الكعبة المشرفة، وفي الجهة المقابلة لا يوجد حاكم، بل مجموعة من الحكام، وكان أقواهم فرعون هذه الأمة أبا جهل، وهناك أيضًا حضارتا الفرس والروم، وكان المجتمع متهالكًا متآكلًا، ومن يتأمل الوضع الراهن يجده غير بعيد عن ذلك الوضع في ذاك الزمان، مئات القنوات الفضائية التي تحمل الشرك، والكفر الصريح، والسحر، والمجون، والدعارة، والجريمة.

هناك عشرات البنوك الربوية التي تحارب الله ورسوله، عشرات الأصنام (الأسهم) التي عبدت من دون الله وما زالت.

وقس على ذلك جميع ما نحن فيه الآن تجده غير بعيد عن حياة الجاهلية في عهد الرسول ﷺ.

وأول شيء بدا على وجهه عليه الصلاة والسلام هو الهم والخوف على هذه الأمة، ولذا فنحن نود أن نرى في علمائنا الكرام آثار الهموم واضحة على وجوههم، ليس بسبب الأسهم، أو العقارات، أو توظيف أبنائهم، بل بسبب هَمّ الآخرة.

إن مشكلة الأمة تكمن في علمائها هداهم الله ونحن نعلم أنهم إذا قرأوا هذه الأسطر سوف يغضبون، ويحاولون أن يجدوا مخارج لهم مما ذكرنا، وأول هذه المخارج أن يقولوا: إننا نحارب الإسلام بسبب اتهامنا إياهم، وأنه لم يبق إلا العلماء للرجوع إليهم، وإذا اتهم العلماء، يحدث شرخ بين الأمة وعلمائها.

ونقول لهم: ابحثوا عن عذر غير ذلك؛ لأن المسلمين سئموا منه، أما الشرخ فهو موجود، وأنتم الذين أوجدتموه؛ لسعيكم وراء مصالحكم، وترك مصالح المسلمين، حتى صار المسلم عند حدوث أمر من أمور الحياة الطارئة له في حيرة من أمره، لأن العلماء لا يردون على مكالمات (الجوال) إلا في الفضائيات ولا يستطيع مقابلتهم، لذلك تجده يضطر أن يسأل من يقابله من عامة الناس، فيفتونه بلا علم، ويضلونه.

وعلى كل حال فهذه كلمة نوجهها إلى الغيورين والباحثين عن حلول لما يحدث للمسلمين، تكون بإذن الله لهم نبراسًا، اقرءوا السيرة العطرة وتأملوها، تجدوا فيها أن الرسول ﷺ لم يفكر في قتل أبي جهل، أو غيره من كبار أعداء الإسلام؛ ليخلو له الجو في دعوة أهل مكة، بل قام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتحمل الأذى وصبر عليهم حتى مكنه الله، وقامت دولة الإسلام في المدينة، وعندما دخل مكة فاتحًا، كان خافضًا رأسه، وهو على ظهر الراحلة، يقول: «لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا بعده، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»[1].

وعندما تتأمل هذه الأذكار التي رددها ﷺ، ولا يزال يرددها المسلمون على الصفا والمروة في العمرة والحج، تجده ﷺ نسب كل شيء لله عز وجل، هو الذي نصر المسلمين وهو الذي أعزهم ولم ينسب النبي ﷺ لنفسه أو لأصحابه الكرام رضي الله عنهم شيئًا مع كل ما تحمله وتحملوه من أذى وغيره.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٩٢٨٨٦/٢) كتاب الحج، باب: حجة النبي ﷺ (١٢١٨/١٤٧).

دور الجامعات في النهوض بالأمة

كما نتمنى من العلماء أن يعودوا إلى المساجد حقًّا، وينهضوا بمسئوليتهم، نتمنى أيضًا من الجامعات الإسلامية، ومراكز البحث العلمي أن تكون أبحاثها المستقبلية عن كيفية النهوض بالعالم الإسلامي، وأن يرغبوا الباحثين، وطلاب الدراسات العليا في هذا الشأن.

ونحن نستغرب أنه في مثل تلك الظروف الصعبة التي يمر بها العالم الإسلامي، نجد أن معظم رسائل طلبة الدراسات العليا في فلان وعلان، والأمة في أمس الحاجة إلى توحيد الجهود والصفوف، ليرفع الله عن أمة الحبيب عليه الصلاة والسلام الغمة.

فيما قبل الختام

فإن كل ما ورد في هذا الكتاب هو عبارة عن إشارات تنبيهية، وكل إشارة تحتاج إلى مجلدات من أهل الاختصاص، وهناك عشرات الأدلة من الكتاب والسنة تؤيد جميع ما ورد في هذه الإشارات.

أما من ناحية أعداء الإسلام، فإننا لا نستطيع مواجهتهم إلا بتوحيد صفوف المسلمين، وهذا لن يكون إلا بعودتنا إلى ربنا عز وجل وهذا لن يكون إلا بعودة العلماء إلى المساجد، وإلقاء الدروس صباحًا وليس مساءً؛ لأن في الصباح كل خير وبركة، وهذا لا يكون حتى يرى الله في المسلمين بقيادة العلماء سلمهم الله النية الصادقة، ولن تكون ثمة نية صادقة إلا بتطبيق هذه المعادلة، ألا وهي تقديم الدين وتأخير الدنيا، فيصلح المنهج، وتقل الذنوب، فتصلح النية، فنستحق بذلك نصرة الله؛ لأن السقوط كانت بدايته الشهوات، وتلا ذلك تغير النيات، فارتكبت الذنوب والمعاصي، وفسد المنهج، فقدمت الدنيا، وأخرت الآخرة، فكانت الهزيمة والسقوط، والله أعلم وأحكم، نستغفره ونتوب إليه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



مشاركات
العلماء والمفكرين

إجابات المشاركين مرتبة حسب تاريخ مشاركتهم

د. بسام الصباغ سوريا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أسباب سقوط العالم الإسلامي

أولًا: هذا السؤال يحتاج لتعديل؛ حيث كلمة سقوط تحتاج لتفسير، فالسقوط لا نهاية له، ومعناه سقوط من أعلى إلى أدنى، وهو بالأصل سقوط مكاني، فالأفضل تغييره بلفظ: (أسباب تأخر أو انحطاط..).

ثانيًا: أسباب سقوط العالم الإسلامي:

موضوع النظرة إلى الحاكم والقائد: فكل الخلافات المهمة بعد وفاة الرسول ﷺ كانت بسبب النظرة إلى الحكم والحاكم والقيادة والقائد.. وأخذت هذه النظرة على مدى التاريخ طابعًا دينيًّا عقديًّا، فلم يزل هناك تباين بالآراء والمعتقدات بين الفرق الإسلامية بالنسبة لأولية الخليفة والحاكم، هل مقصور على قريش؟ أم على العرب؟ وأيهما أولى بالخلافة بعد رسول الله؟ أبو بكر، أم عمر، أم عثمان، أم علي؟ ثم ما آل إليه الحكم إلى ملكي ووراثي أو استبدادي، بعيدًا عن الشورى والتناصح وقول الحق.. حتى إننا نجد في كثير من الأحزاب الإسلامية والتجمعات

والجمعيات والطرق الصوفية مبالغة في تقديس زعمائها قد يصل لمرتبة العصمة، فالتسلط والتقديس موجود عند الحاكم والمحكومين، وإن أكثر بلاد العالم الإسلامي يُحكم من طرف ملكي، أو عسكري، أو استبدادي، أو فئة مستبدة، أو طائفة، أو جماعات دينية تعتبر نفسها أنها وحدها على حق وغيرها على باطل، وتقيم خلافات وتصل إلى اقتتال، فما لم يكن هناك شورى وعدل فلا يمكن أن ينجح العالم الإسلامي.

موضوع ضعف ثقافة إعمار الأرض والاستخلاف فيها، فكثير من المسلمين ينظرون إلى تغيير المنكر أو الحاكم أو غيره بالاستشهاد أو الانعزال أو الزهد، وكثير منهم يعتبر أن الشهادة أقرب طريق إلى الجنة، دون أن يدركوا أن إعمار الأرض مطلوب دينيًّا مثل طلب الجنة، فالوصول إلى الجنة لا بد له من طريق الدنيا، مثلما قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١).

ومثل قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

وقال تعالى: **﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾** (النساء: ١١٤).

فيجب إعادة ثقافة تملك الدنيا ووسائلها وقواها واستخدامها فيما أمر الله، والبعد عن الزهد المصطنع أو الانعزال عن الحياة أو ترك الدنيا أو ترك تملك الدنيا أو الاستشهاد دون مبرر ودون تحقيق مصلحة شرعية، يجمع عليها عقلاء الأمة الإسلامية وعلماؤها وحكماؤها.

ثالثًا: تخلى المسلم عن مسئوليته الدعوية وتركها للحكام أو لطائفة من علماء الأمة يتبعون سياسة الحاكم، فتخلى المسلم عن أن يكون قدوة حسنة سلوكًا وأخلاقًا وإيمانًا.

من أكبر أسباب سقوط العالم الإسلامي ربط المؤسسة الدينية الإسلامية بالمؤسسة الحكومية فأصبح الدين تابع الحاكم، لا العكس، وصارت هذه المؤسسات الدينية وعلماؤها تبرر أعمال الحاكم، فما لم تستقل المؤسسة الدينية الإسلامية وتوابعها عن الحكم لا يمكن النهوض بالعالم الإسلامي.

فيجب أن يكون الحكم تابعًا للشرع لا العكس.

الشيخ/ عبد اللّه اليوسف

السعودية، باحث دين عالم في الشئون الإسلامية

أسرار السقوط الحضاري للعالم الإسلامي:

يعد (السقوط الحضاري) للأمة الإسلامية من أهم الشواغل والهموم التي تشغل العقل المسلم، وتستحوذ على تفكير كل مفكر ومصلح مخلص لأمته وهويته وحضارته، فمفاعيل (السقوط الحضاري) لم تقتصر على جانب دون آخر، بل عمت كل جوانب الحياة، وعلى مختلف الأصعدة والمفاصل الرئيسة في حياة الأمة، وما يعانيه العالم الإسلامي اليوم من تخلف مريع عن قطار الحضارة الحديثة، يشير إلى مستوى التقهقر الحضاري الذي ترك بصماته الواضحة في كل شيء وعلى كل شيء، وقد حاول الكثير من الكتاب والمفكرين والباحثين التعرف على أسرار (السقوط الحضاري) الذي يمر به العالم الإسلامي منذ فترة طويلة، وبالرغم من تعدد التشخيص لهذا الداء الذي ابتليت به الأمة الإسلامية، إلا أن الداء نفسه واضح، ولا يحتاج إلى إثبات من شدة وضوحه، وإن تعددت وصفات الدواء له، ولنحاول معرفة أسرار (السقوط الحضاري) للعالم الإسلامي، والتي يمكن تلخيصها في الحقائق التالية:

١- الديكتاتورية والاستبداد:

عانى العالم الإسلامي في مجمله ولا يزال من تفشي ظاهرة (الديكتاتورية والاستبداد) في الأنظمة السياسية منذ فترة طويلة، وقد أدى هذا الاستبداد إلى خنق الحريات العامة، وعدم احترام حقوق الإنسان، وغياب النقد بمختلف أشكاله، ومنع المحاسبة والمراقبة للشأن العام، وإلغاء مؤسسات المجتمع المدني، والقضاء على الإبداع والابتكار، وبكلمة واحدة، فالاستبداد سر البلاء المبرم، ومنبت كل شر، ومنبع كل فساد، لقد سجل لنا التاريخ عبر صفحاته مدى التقدم الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية عندما كانت تعيش أجواء نسبية من الحريات العامة، وعندما حل الاستبداد حل معه كل تخلف وتقهقر، وإذا ما أردنا أن ننهض من جديد، فلا سبيل أمام العالم الإسلامي سوى القضاء على الاستبداد والديكتاتورية، وإشاعة الحريات العامة، واحترام حقوق الإنسان وتعميق ثقافة الديمقراطية بما يتناسب والمجتمعات الإسلامية.

٢- الفساد الشامل:

ظاهرة الفساد الشامل والذي عمّ مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها، قد أدى إلى (السقوط الحضاري) الذي ما زال العالم الإسلامي يدفع أثمانًا باهظة له، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بوضوح في كثير من الآيات الشريفة، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٦) ، وقوله تعالى:

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ (الأنبياء: ١١) ، وقوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ

فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴾ (الحج: ٤٥) ، وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (الحج: ٤٨) ، وقوله تعالى: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ (القصص: ٥٨) ، وغيرها من الآيات الشريفة التي تربط بين الفساد وانهيار الحضارات وتدمير الأمم؛ فالفساد هو أحد الأسرار المهمة لسقوط الحضارات، ودمار الأمم والشعوب كما أكد القرآن الكريم على ذلك، ولا يمكن للعالم الإسلامي كما لايمكن لغيره من الأمم أن يتقدم وينهض حضاريًّا مادام الفساد يعشعش في أحشائه، فالبداية للنهوض إن أردنا ذلك أن نعالج (مرض الفساد) المنتشر في جسد الأمة، والذي أصاب جميع مفاصله الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية... إلخ.

٣- غياب التخطيط:

توجد قاعدة في علم الإدارة تقول: (يجب أن تعلم أنك إذا فشلت أن تخطط لمستقبلك فقد خططت لفشلك، أما إذا نجحت في أن تخطط لمستقبلك فقد خططت لنجاحك وتفوقك). هذه القاعدة المهمة تنطبق على مختلف الحقول بما فيها الحقل السياسي، فقد أدى غياب التخطيط الاستراتيجي لسقوط العالم الإسلامي، بل واستمرار هذا السقوط إلى الآن!! فنحن أمة لا نخطط لحاضرنا فضلا عن مستقبلنا، وهو أمر يدعو للدهشة والاستغراب، ولكنه الحقيقة المرة! لقد سقط العالم الإسلامي بفعل التخطيط الاستراتيجي الذي كان يخططه الغرب لإسقاط الخلافة العثمانية، وقد نجح في تخطيطه، واليوم تتكرر نفس التجارب، الغرب يخطط ثم ينفذ، ونحن ننتظر ماذا يخبئه لنا الغرب من مخططات ذكية!

والأنكى من ذلك أننا لا نخطط حتى لأنفسنا؛ فمشاكل العالم الإسلامي في ازدياد مطّرد من: تزايد أعداد العاطلين عن العمل يوميًّا، مرورًا بالأخطاء الاقتصادية المتكررة، وأخيرًا وليس آخرًا: تضاعف معدلات الفقر والجهل والمرض في كل مكان من عالمنا الإسلامي!

ومن الغريب أن عالمنا الإسلامي على كبره واتساع رقعته، وكثرة أعداده، يفتقر إلى مراكز دراسات استراتيجية مؤثرة، تخطط للحاضر والمستقبل، وهو أحد أسرار تخلف العالم الإسلامي؛ بيد أن أي تقدم يحتاج في البداية إلى تخطيط استراتيجي، فلا يمكن لأمة من الأمم أن تتقدم حضاريًّا دون رؤية استراتيجية، أو خطة مخططة بدقة، وإذا ما فشلنا في التخطيط لمستقبلنا فقد خططنا لفشلنا!

وخلاصة القول: إن هذه أهم أسرار (السقوط الحضاري) للعالم الإسلامي، بالإضافة إلى أسرار أخرى كالتجزئة والتقسيم الذي مني به العالم الإسلامي، والاستعمار الظاهر والباطن.. وغير ذلك من الأسرار الواضحة؛ وقد أدى هذا التخلف الحضاري إلى تداعيات خطيرة على الأمة الإسلامية جمعاء، من قبيل: الضعف الاقتصادي، والانهزام العسكري، والتبعية السياسية، والتخلف العلمي والتقني.. وغير ذلك كثير. ولا خيار أمام العالم الإسلامي إذا ما أراد النهوض الحضاري إلا سلوك طريق الديمقراطية، وإشاعة الحريات العامة، فالحرية أساس كل تقدم وتطور حضاري، وتعميق الوحدة الإسلامية بما يُسهم في توحيد (الهوية السياسية) للعالم الإسلامي، والقضاء على الفساد المستشري في جميع مفاصل الأمة الرئيسة، وإقامة مراكز متطورة وفعالة للتخطيط الاستراتيجي، كي ترسم للقادة خرائط العمل للنهوض الحضاري، وامتلاك أسرار المعرفة العلمية، فهذا هو طريق النهوض الحضاري، فهل نحن فاعلون؟! انتهى.

أ.د. محمد صالح الفرفور

السؤال الأول: هل سقط العالم الإسلامي كما يروج بعض الباحثين، وإذا كان الأمر كذلك؛ فما هي أسباب سقوطه؟

والجواب عن السؤال الأول: أنه خطأ في التصور، فالعالم الإسلامي لم يسقط ولن يسقط بإذن الله؛ لأن النبي ﷺ قال: «وما تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال وفي رواية: حتى يأتي أمر الله». فحكمنا على العالم الإسلامي بالسقوط ليس صحيحًا علميًّا، فنبينا ﷺ قال فيما صح عنه: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه غلو الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[(١)].

ومن قوانين الحياة البشرية أن كل شيء في هذه الحياة بين مد وجزر كالبحر تمامًا، فليس معنى الجزر للبحر المحيط تلاشي البحر وانعدامه، ولكن حالة طبيعية للبحر يكون من بعدها المد الذي لابد منه، وهذا من معاني الحديث النبوي (لكل شيء شرة ولكل شرة فترة)[(٢)]، أو كما قال

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٦٣٥) برقم (٢٤٥٣) وقال: حديث حسن صحيح.

النبي ﷺ وهنالك أمثلة كثيرة في التاريخ تعطينا هذه النتيجة بوضوح؛ كالحروب الصليبية وما قبلها وما بعدها، فقد جاء زمن على بلاد الشام آنذاك صار الساحل السوري دولًا صليبية في الأعم الأغلب وعلى رأسها مملكة القدس؛ حيث بقي الصليبيون فيها زهاء مائتي سنة إلا قليلًا، ووصلوا إلى حدود ومشارف دمشق، ثم صرفهم الله بانتصار الملك العادل نور الدين زنكي أولًا وتوحيد بلاد الشام، ثم بمعركة حطين وفتح بيت المقدس ثانيًا، فهل نسمي ما حصل آنذاك سقوطًا؟! اللهم لا، فالعالم الإسلامي لم يسقط ولن يسقط؛ لأن قوانين البقاء تحكم بذلك، ولو سقط لانتهى أمره وذهب أدراج الرياح متلاشيًا، وهذا يخالف الواقع، كل ما هنالك أن العالم الإسلامي كالبحر له مد وجزر، ولولا الجزر ما حصل المدّ.. فالجزر في البحر المحيط مقدمة لمد عظيم كالجبال بعد انحسار شديد، وإني لا أرى أبدًا نظرية جلد الذات بأن ننزل نقمتنا العارمة على أنفسنا ليل نهار، ونشبع ذواتنا سبًّا وشتمًا في حجة نقد الذات، ما هكذا يكون النقد بل هذا نقض، وفي الأثر: من قال هلك الناس فهو أهلكَهم وفي رواية أهلكُهم أي: أشدهم هلاكًا[(١)].

نعم إننا نقاسي من جاهليات مختلفة في كثير من البلاد الإسلامية سببها الأول الجهل بحقائق الإسلام، ونتج عن هذا الجهل الغلو والانحلال معًا، والحقيقة في الوسط، والوسط هو الخيار ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣) أي: عدولًا. ويصدق في هذه القضية الحديث الشريف: (إن لهذا الدين إقبالًا وإدبارًا، فمن إقبال هذا الدين أن تتعلم

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٢٤) برقم (١٣٩/٢٦٢٣).

القبيلة فيقوم الجاهل فيقول فيخذل، ومن إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة فيقوم العالم فيقول فيخذل)[1].

وعلى هذا يجب أن يكون الخلاف في الأمة خلاف تنوع لا خلاف تضاد، حتى تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها الرائدة في العلم، وهو ما يجب أن يسعى إليه العلماء بالله وهم علماء الآخرة وهم العلماء حقًّا، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: (العلم علمان: علم في القلب وذلك العلم النافع، وعلم على اللسان وذلك حجة الله على ابن آدمَ)، هذا العلم النافع يصحبه القلب الخاشع والطرف الدامع واللسان الذاكر، وهو الذي سيوحد الله كما في كتاب الله عز وجل: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ (آل عمران: ٧٩)، وحين يصبح العلماء ربانيين تسير الأمة وراءهم رعاة ورعية.

صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس كلهم: العلماء والأمراء، ولا والله لن يكون صلاح الأمراء إلا بصلاح العلماء..

يا أيها العلماء يا ملح البلد   من يصلح الملح إذا الملح فسد

فإذا صلح العلماء صلح الأمراء، وبصلاحهما معًا صحت الأمة ونهضت من كبوتها، واستيقظت من سُباتها.

وأصبحت أمة صالحة للبقاء ولوراثة الأرض والخلافة عن الله فيها، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بنحوه (١٩٨/٨).

د. عدنان علي رضا النحوي

ما هي أسباب سقوط العالم الإسلامي؟!

السؤال المطروح، سواء أكان بهذه الصيغة أم بغيرها، هو أهم سؤال يجب أن يُطرح في هذه المرحلة من حياة المسلمين، وأتوجه بالشكر إلى كل العاملين الذين طرحوا هذه القضية على عدد كبير من العلماء والمفكرين.. والسؤال والقضية هما: «ما هي أسباب سقوط العالم الإسلامي في رأيك؟».. ولكن أضيف إلى هذا الموضوع والسؤال سؤالاً آخر هو: وما هو المخرج؟!

وأول نقطة أودُّ أن أثيرها: أن المسئول الأول في ميزان الإسلام عن هذا السقوط هو المسلمون أنفسهم الذين بلغتهم رسالة الله، ويسَّرها الله بين أيديهم منهاجاً ربانيًّا قرآنًا وسنة ولغة عربية وتعهد الله بحفظه، حتى لا يكون لأحد العذر في التفلت من هذا المنهاج الرباني، ولا شك أن أعداء الله خططوا لسقوط العالم الإسلامي، وأحكموا الخطة، وبذلوا جهدهم في تنفيذها، ولكن لم يكن لهم أن ينجحوا في ذلك لولا أنّ المسلمين أنفسهم قصروا في الوفاء بعهدهم مع الله، والأمانة التي حملوها، والخلافة التي جُعلت لهم في الأَرض، فاللوم الأول علينا نحن

المسلمين، دون أن ينقص من مسئولية المجرمين في الأرض:

ما لي ألومُ عدوي كلما نزلت بيَ المصائبُ أو أرميه بالتُّهم

وأدَّعي أبدًا أني البريء وما حملت في النفسِ إلا سقطة اللمم

أنا الملوم! فعهد الله أحمله وليس يحمله غيري من الأمم

والمجرمون هُمُ! والله يأخذهم أخذ العزيز بليلٍ واسع النِّقم

إذا نهضنا لعهد الله وانطلقت عزائم الصدق والإيمان والشمم

والنقطة الثانية تؤكد النقطة الأولى: وهي أنه لا يتمُّ شيء في هذه الحياة الدنيا إلا بقضاء الله وقدره، وقضاء الله حقّ نافذ، وقدره غالب، وحكمته بالغة: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (غافر: ٢٠).

والله سبحانه وتعالى قد حرم الظلم على نفسه، وجعله محرَّمًا بين الناس، فالله لا يظلم أحدًا ولا يظلم شيئًا أبدًا، إذن فالناس هم الذين يظلمون أنفسهم: إما بالتخلي عن الأمانة والعهد والمسؤولية، أو بارتكاب الشرّ والفتن والجرائم والظلم في الأرض.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (يونس: ٤٤).

فلننظر نحن المسلمين اليوم في أنفسنا، ولينظر كل مسلم في نفسه، لنرى كم فرّطنا في الأمانة والعهد، ومحاسبة النفس، هذه هي أول خطوة على الطريق، وبغيرها لا تتمّ خطوات أخرى.

إن ميدان المعركة الأول اليوم هو في أنفسنا، فإن انتصرنا فيه؛ سهّل الله علينا النصر في الميادين الأخرى:

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ (الرعد: ١١).

فنحن الآن مطالبون شرعًا أن ندرس أخطاءنا وأمراضنا دراسة بعيدة عن الهوى والعصبيات الجاهلية على أساس من ميزان حق فصّله الله لنا، وأمرنا برد أمورنا كلّها إليه، وهو منهاج الله، ولو استعرضنا تاريخنا وواقعنا استعراضًا أمينًا على أساس من الميزان الحق، لانكشفت لنا عيوبنا كلها، وبرزت أمراضنا وأخطاؤنا بشكل جليّ. وأودُّ هنا أن أبدأ بعرض بعض ذلك مبتدئًا من الآخر، وليس حسَب التسلسل التاريخي ومجريات الأحداث.

إن أكبر مرض وأشد خطأ نعاني منه اليوم: هذا التفرق والتمزق الذي صنعناه بأهوائنا وأيدينا، وهو معصية كبيرة جدًّا في ميزان الله، وعليها عقوبة كبيرة وعذاب عظيم.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

وهذا التفرُّق يأتي بشرّين كبيرين:

أولًا: غضب الله فيُنْزل الله العذابَ العظيم، كما نصت الآية الكريمة وآيات أخرى.

وثانيًا: إن هذا التفرق والتمزق يفتح ثغرات يدلف منها الأعداء

والمفسدون، لينشروا الفتن ويزيدوا الفرقة والتمزق، فيزداد المسلمون هوانًا وضعفًا، ثمّ يزداد تسلل المجرمين ويزداد الهوان وغضب الله والعذاب العظيم، وتستمر المصائب: فرقة، ثم تسلل المجرمين وإفسادهم، ثم غضب الله وعذابه، وتتوالى هذه السلسلة حتى يقضي الله بأمره!

وهنا يرد السؤال المباشر: كيف وقع هذا التمزق في العالم الإسلامي، وقد ترك رسول الله ﷺ أمته صفًّا واحدًا مرصوصًا، وبيّن لهم الدرب والصراط المستقيم؟!

إن التنازل عن قواعد الإيمان والإسلام هو سبب هذا التفرق والتمزق، والتنازل يبدأ بتنازل بسيط من أمور الدين لا يرى الناس في التنازل عنها شرًّا كبيرًا، ولا يتذكرون آيات الله ونُذُرَه ومواعظه المتتالية، ثم يتبع هذا التنازل تنازل آخر، ثم ثالث، حتى ترى الحال تبدل كثيرًا، والانحراف أصبح واسعًا كبيرًا، والفتنة تتلوها فتنة، والبلاء يتبعه البلاء، وكل ذلك ابتداؤه من أنفسنا.

فعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكهم بسنة عامة، وألا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد؛ إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيت لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا، وإني أخاف على

أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع في أمتي السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبيّ بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل»[١]. رواه مسلم والترمذي وأبو داود.

وكما ذكرنا، فلا تصل الأمة إلى هذا الوضع مباشرة، إلا بعد أن تقع المخالفات التي تستدرج الناس إلى مخالفات أخرى، وهكذا حتى تحق عليها كلمة الله.

ولعل أخطر تمزيق حقيقي واسع في الأمة المسلمة وقع في نهاية الدولة العثمانية، ومع الحرب العالمية الأولى، حين كان قد امتد الضعف والوهن والانحراف كثيرًا، وتجمعت مخالفات فوق مخالفات، ثم أزيلت الخلافة الإسلامية، فزاد التمزق والفرقة إلى أقطار متناثرة وشعوب انتشرت فيهم الفتن، وأخذت عوامل التمزق تزيد في الأمة وتمتد، فالانهيار امتد على مساحة غير ضيقة من التاريخ وزمن غير قليل، حتى وصلنا إلى ما نحن فيه اليوم.

ولقد أثارت هذه الأحداث كثيرًا من النفوس التي تحاول إصلاح الأمة باسم الإسلام، فاتخذت شكل جماعات أو أحزاب أصبحت مع الأيام

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٢١٦) برقم (١٩/٢٨٨٩).

صورة من صور الفرقة والتمزق، فذهبت جهودها دون أن تستطيع أن تحقق أخوة الإيمان التي أمر الله بها، ولكنها حققت أخوة حزبية، وصار الـولاء للحزب والعهد الأول للحزب، بدلًا من أن يكون الـولاء الأول لله وحـده، والعهد الأول لله وحـده، والحـبُّ الأكـبر لله ورسـولـه، وهاجت أشكال متعددة من العصبيات الجاهلية: عائلية وحزبية وقومية وإقليمية، وتمثلت هذه العصبيات الجاهلية في الفكر والأدب، وظهرت أحزاب جديدة أخذت تتوالد، وحل الصراع الشديد بين هذه الأحزاب، حتى لم تعُد تجدي مقاومتها لـلأعداء، وأخـذ الأعـداء يتكاثرون ويـزداد نفوذهم وشرهم وفتنهم، وكأنهم وجدوا الديار مفتوحة لهم، والقلوب مفتوحة لهم.

فعن ثوبان رضي الله عنه عن الرسول الله ﷺ قـال: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قيل يا رسول الله: أفمن قلة نحن يومئذٍ؟! قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يُجعل الوهن في قلوبكم، ويُنزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهية الموت»[1]. رواه أحمد وأبو داود، وهذا النص من صحيح الجامع الصغير مع اختلاف بسيط في النص عند أبي داود لا يخل بالمعنى.

ويمكن أن نستعرض خطة المجرمين في غزوهم للعالم الإسلامي، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ (إبراهيم: ٤٦)، والمسلمون لم يقابلوا ذلك بخطة واعية ونهج مدروس.

---

(١) أخرجه أبو داود (١١١/٤) برقم (٤٢٩٧)، وأحمد في المسند (٢٧٨/٥).

لابد أن نتذكر أن هذا كله كان يمضي على سنن لله ثابتة في الحياة الدنيا، وكانت هذه السنن، أو معظمها، مبينة للمسلمين في الكتاب والسنة؛ بحيث كان بإمكانهم النجاة من كثير من الفتن والمكر!

وأعتقد أن الأعداء، وهم يلتقون على خطة لهم، كانوا يسيرون في أكثر من خط في وقت واحد. فالغزو الفكري المستمر دون كلل أو ملل، والغزو بالشهوات والفتن والجنس، والغزو بالشركات، والأجهزة المختلفة معها، والغزو بالحركات التنصيرية، بالإعلام المنهجي وأجهزته، ورجاله، وهذه كلها كانت تدعم الغزو العسكري العدواني، أو تسبقه أو تأتي بعده، وكل واحد من هذه الأساليب كان عملًا مستمرًّا ممتدًّا حتى يومنا هذا، وربما كان ينمو ويتطور في وسائله وأساليبه ومكره.. ولابدّ أن نعيد ونؤكد أن العالم الإسلامي لم يقابل هذا الغزو المنهجيّ بمنهج مدروس وخطة واعية، وإنما كان يجابه ذلك بالشعارات والمظاهرات والارتجال العاطفي الذي كان يستغله الأعداء، فيحولون كثيرًا من الجهود إلى مصلحتهم.

وإن كنتُ أود أن أبرز خطوة رئيسة في مخطط الأعداء، فإني أبرز خطتهم لضرب اللغة العربية وصرف المسلمين عنها من خلال جهود مكثفة كثيرة لا نستطيع استعراضها هنا كلها، ولكن كان منها محاولات تغيير الحروف العربية، وتغيير القواعد العربية، ولقد نجحوا في ذلك نجاحًا بعيدًا، فبعض أقطار العالم الإسلامي تركت اللغة العربية، واستبدلت بها لغات أجنبية كالإنجليزية والفرنسية، وبعض الأقطار تساهلت في شأن اللغة العربية، حتى وصلنا إلى وضع عجيب يجهل فيه ملايين المسلمين اللغة العربية جهلًا تامًّا، أو غلبت عليها اللغات العامية.. إنها معركة شديدة

خاضتها اللغة العربية وما زالت تخوضها.. وأهم أثر لذلك كان في هجر كثير من المسلمين كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

ومع جهل اللغة العربية، وهجر الكتاب والسنة، سهل تسرب الأفكار غير الإسلامية، حتى أصبح لها أتباع وجنود من المسلمين أنفسهم، لم يجدوا فيما يحملون من زاد ما يردّ على هذا الغزو، وإنا لنلمس هذه الحقيقة اليوم في جميع أقطار العالم الإسلامي، حيث أخذت تنتشر الاشتراكية واليسارية والديمقراطية والعلمانية والحداثة، وحتى أصبح تلامذة هذه الأفكار يجهرون بجرأة وعلانية، ولا يترددون أن يعلنوا أن الدين أفيون الشعب، ويدعون إلى التمسك بالعلمانية ووليدتها الديمقراطية، وأخذوا يحتلون مراكز ومسؤولية في البناء والتوجيه.

ولو أردتُ أن أبرز أهم أخطاء المسلمين في هذا التاريخ الطويل، فإني أوجزها بنقاط كما يلي:

١- لم يكن لدى المسلمين أي خطة عملية ومنهج تتفق عليه الأمة في مقاومة هذا الخطر الزاحف بنهجه وجبهاته واتحاده.

٢- شُغِلَ كثير من الدعاة عن الوفاء بالواجب الأول عليهم، وهو تبليغ رسالة الله إلى الناس كافة كما أنزلت على رسول الله ﷺ وتعهدهم عليها، كما أمر الله ورسوله، وأما المسلمون فقد شغلوا بفتن بينهم وخلافات وصراع وانشقاقات، شغلوا بالدنيا وزخرفها، وما ألقى إليهم الأعداء ليستدرجوهم إليه ويشغلوهم به؛ بتبني شعارات الغرب، لا عن قناعة مطلقة، ولكن عن حاجة نفسية حتى لا يوصموا بأنهم متخلفون.

٣- لقد ضعفت عملية البناء والتربية والإعداد المنهجي الإيماني للأجيال

المؤمنة، الذي يقوم كله على الكتاب والسنة، وتعريف الأجيال بالمهمة التي خلقهم الله للوفاء بها، وبمسؤولياتهم الفردية الشرعية، كما هي في الكتاب والسنة، هذه العملية ضعفت وطغى عليها عملية جمع الأنصار والاستعداد للانتخابات والمشاركة في البرلمانات، دون تحقق القدرة على تحقيق ما يجب.

٤- ضعُف المسلمون حتى أصبح همهم وهمّ بعض الدعاة إبراز تحضرهم لعزة الإسلام من خلال هذا الانحراف.. وكأنّ الجهود لم تعد تبذل لتكون كلمة الله هي العليا، وإنما كل يريد أن ينصر نفسه وجماعته وحزبه أو عائلته أو قوميته..!

٥- من خلال ذلك، ومن خلال الجهل بالإسلام، وجهل المسلم دينه ومسؤولياته، أقيمت في حياة بعض المسلمين أهواء ونماذج قد تنحرف بهم إلى غير الصراط المستقيم الذي أمرنا باتباعه.

٦- من خلال ذلك اشتدت الفتن وسقط فيها الكثيرون، وتوالت الهزائم واشتد الهوان.

هذه القضية هي أساس ومحور جميع ما أصدرت من كتب في الفكر والدعوة والواقع والأدب، وغير ذلك من الموضوعات حتى بلغت ثمانية وتسعين كتابًا بفضل الله، تحت عنوان: «لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن»، أو: «مدرسة لقاء المؤمنين»، أستعرض فيما أكتب أهم نواحي الخلل في واقعنا، وأعرض منهجًا يحمل النظرية العامة، والمناهج التطبيقية، والنماذج العملية، والنظام الإداري، والأهداف الربانية المحددة، والوسائل والأساليب؛ ليكون هذا النهج وهذه المدرسة قاعدة للقاء المؤمنين لقاء القلوب ولقاء العزائم.

وهو نهج لكل مسلم، ولكل أسرة، ولكل حركة إسلامية، ولكل مستوى، في عمل غير حزبي، وغير سرّي، نهج علني أطلقه بقدر ما أملك من طاقة لأسمع به ما أستطيع بلوغه، ليُدرس وليناصح حوله، فمن وجد منهجًا خيرًا منه فليعرضه.

يهدف هذا النهج إلى توحيد الفكر على منهج واحد، كما كانت مدرسة محمد ﷺ، حتى يصبح بين المسلمين لغة تفاهم، ليفهم بعضهم بعضًا. ومن بين هذه الكتب كتاب: «واقع المسلمين أمراض وعلاج»، وكتاب: «حتى نغير ما بأنفسنا»، وكتب أخرى، ولي كتاب آمل أن يصدر قريبًا بعنوان: «ملحمة التاريخ في قيام الدول الإسلامية وسقوطها»، أخرج فيه بسنة جلية من سنن الله، محورها: أنه كلما قام المسلمون يحملون رسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ ويبلغونها إلى الناس كافة ويتعهدونهم عليها، صادقين مع الله، أعزهم الله ونصرهم ومكّن لهم في الأرض وقامت دولتهم، وكلما تخلوا عن هذه المهمة أذلهم الله وأسقط دولتهم.

إنها صورة واضحة في تاريخنا كل الوضوح: تلك الدولة الأموية، والدولة العباسية، ودولة المغول في الهند، والعثمانيون، ودولة المسلمين في الأندلس، فترى سنة الله ماضية نافذة! وتلك عبرة لمن يريد أن يعتبر!

وأرى أنه يجب أن تغرس هذه القضية في نفوس الشباب المسلمين على قدر ما نستطيع، حتى تصبح القضية قضيتهم، وحتى ينالوا التعهد والبناء على ذلك، فلا يتناثرون شيعًا وأحزابًا! وحتى يعلموا أن المسؤولية هي مسؤولية كل مسلم، وأننا كلنا محاسبون على ذلك بين يدي الله.

وأودّ أن أوضح أن كل ما أكتبه فهو موجه للرجل والمرأة، والفتى والفتاة، فكلهم مسؤولون ومحاسبون بين يدي الله، فالله الذي خلق الرجل والمرأة، حدد للرجل مسؤولياته ودوره، وحدد للمرأة مسؤولياتها ودورها، بوضوح وجلاء، ويحاسب الجميع على أساس ما بينه الله من مسؤوليات وتكاليف في منهج رباني حق، وأول هذه المسؤوليات بعد صدق الإيمان والتوحيد هو دراسة منهاج الله قرآنًا وسنة ولغة عربية دراسة منهجية، صحبة وعمرًا وحياة، مع التدبر والممارسة الإيمانية في الواقع البشري، والتدريب على ذلك في مدرسة الإسلام.

د. ناهدة عطا الله الشمروخ

قبل الإجابة عن هذا السؤال وخاصة الشق الأول منه أقول: إنني لا أؤيد طرح السؤال بهذه الصيغة المطلقة؛ ذلك لأن العالم الإسلامي ولله الحمد والمنّة لم يسقط، حتى يقال من أسقطه؟ لكن يمكن أن يقال بأن العالم الإسلامي قد ضعف، بل إن صح التعبير فهو في أشد حالات ضعفه، لكن لا يعني ذلك أنه سقط أو سيسقط كما هو تعبير السؤال أعلاه..

فأية أمة من الأمم منذ بدء الخليقة تمر بمراحل ضعف كثيرة، ولعل من أبرزها سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ على يد التتار، حتى ظن المرجفون واليائسون من رحمة الله أن لن تقوم للإسلام قائمة في بغداد وغيرها بعد هذا الحدث المهول المريع، حيث ذكرت ذلك كثير من كتب التاريخ كالبداية والنهاية لابن كثير، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي.. وغيرهما..

والتاريخ كما يقال يعيد نفسه، والغلبة كما وعدنا الله ورسوله ﷺ للإسلام، وفي الحديث: «من قال: هلك الناس فهو أهلَكهم» وفي رواية

«أهلكُهم»[1].

أما إن للمرأة دورًا في ذلك، فهذا مما لا شك فيه، ففي الحديث «إنما النساء شقائق الرجال»[2]، وقد ذكرهن الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى آخر الآية، وأيضًا في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾.

إذن، للمرأة دور مهم في قوة العالم الإسلامي أو ضعفه، وهذا الدور لا يحتاج لمزيد توضيح مما قد يطول شرحه؛ لأنه أشد وضوحًا من الشمس في رابعة النهار، وتوضيح الواضحات يُعد من أشكل المشكلات!

هذا والله أعلم.. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) تقدم والحديث أخرجه مسلم (٤/٢٠٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي (١/١٥٤) برقم (١١٤)، وأبو داوود (١/١١١) برقم (٢٣٦)، وابن ماجه (١/٤٨٥)، برقم (٦١٢).

د. محمد حبش

الداعية المعروف ومشرف مركز التجديد الإسلامي بدمشق

يمكن إجمال أهم الأسباب في سقوط العالم الإسلامي في عدة جوانب رئيسة :

الاستبداد والظلم الذي مارسه الحكام خلال مراحل كثيرة من التاريخ الإسلامي، وهو الاستبداد الذي حال دون قيام مبادرات مجتمعية حقيقية بهدف استمرار الأمة في تولي مسؤولياتها التاريخية في العلم والعمل.

غياب الديمقراطية التي تحقق تشارك الناس في النهوض بأعباء الحياة والعلم والعمل، وتداول السلطة والرقابة على الحكام وحماية حقوق الإنسان، وهي المعاني التي تبناها الغرب في صعوده الحضاري، في حين أخفق المسلمون في تحقيق لحاقهم بالعصر، وإدراك شروط هذا التغيير الجوهري في النفس والمجتمع.

جمود العقل وقعود العلماء عن الاجتهاد والاكتفاء بما أنجزه الأولون على قاعدة «قف على ما وقف عليه الأولون، فإنهم عن علم وقفوا» وهكذا

اختلط الأمر، وشنت الحرب على البدعة والإبداع جميعًا، وتولى رجال أشرار الدفاع عن الثوابت الدينية برصد كل مطلب في التجديد أو رسالة في التنوير وتخوينها وتخوين حاملها، الأمر الذي أدى إلى قعود كثيرين عن حمل رسالة التجديد والتنوير وقنوعهم من العيش بالكفاف ومن السعي بالرضا بحال الأمة والغلو في تقديس النصوص والأشخاص إلى الحد الذي خنق أي مبادرة إصلاحية أو تجديدية لدى الأمة؛ حيث تم تسوير دائرة طويلة من الثوابت التي لا يجوز المساس بها، ولا يصح الاقتراب منها، وهو ما فرض على الأمة الجمود، وفرض على الأحياء قراءة القرآن بعيون الأموات، وألقى برجال الاجتهاد والتنوير في ظلمات محاكم التفتيش السيئة الذكر، وهو ما كان له أبلغ الأثر في قعود الأمة عن مسؤولياتها في التنوير والتجديد.

يُضاف إلى ذلك تجاوز رجال الدين رسالتهم في التربية والموعظة واقتحامهم على الاختصاصات الأخرى، وفرض رؤيتهم على العالم، الأمر الذي أدى إلى صدور كثير من الأحكام الخاطئة، وتغييب آراء صائبة وعلمية؛ لأنها لم توافق هوى الملالي الذين نصبوا أنفسهم ناطقين باسم الرب.

د. جاسم سلطان

مفكر وخبير استراتيجي

لن أتوقف كثيرًا عند المصطلح المستخدم في السؤال: أهو سقوط أم هبوط، أم نكسة أم نكبة؟.. فالمعنى المراد واضح، والدافع للسؤال موجود في كل ضمير حي محب لأمته ومعنيٍّ بما يحدث لها.

ومصطلح الأمة حين يستدعَى يحمل معه عدة مضامين:

أولها: المعنى السياسي والذي يقتضي وجود دولة الخلافة أو ما ينوب عنها، وسنعود للحديث عنه لاحقًا.

وثانيها: المعنى الثقافي بمعنى وجود إرث ثقافي مشترك لمجموعة من البشر يميزها عن غيرها ويربط بين أفرادها.

وثالثها: المعنى النفسي بمعنى شعور مجموعة من البشر بالتواصل العاطفي والمشاعر المتبادلة، وعلى ذلك ينبغي التفريق بين أي نوع من المضامين يستدعى عند الحديث عن المصطلح حتى يمكن التعاطي معه بوعي.

والسؤال عن أسباب التراجع الحضاري يقتضي معالجة إشكالية متعلقة بالمحتوى الزمني للسؤال، بمعنى أن لحظة الانكسار التاريخي، والتي تفوق فيها الغرب على وجه التحديد على العالم الإسلامي، يمكن نسبتها بشيء من التجاوز إلى القرن الرابع عشر الميلادي، والتي عالجناها في كتاب «الذاكرة التاريخية» بشكل مفصل، واستعرضنا فيها المسار الإسلامي في خط الصعود والهبوط والمسار التاريخي والتحولات التي صحبت التقدم في الغرب، والتي رسمت الفجوة التي نعاني منها اليوم، ويمكن الرجوع للموضوع في مكانه من كتاب «الذاكرة التاريخية».

ولكن السؤال يطرح مستوى زمنيًّا آخر وهو اللحظة الحاضرة، وما الذي يحكمها، وكيف نقومها، وما الذي يعوقنا من التقدم فيها، وهو الأمر الأهم من وجهة نظري؟

وللإجابة على هذا السؤال أقول: إن التجلي الأهم لوضع أية دولة أو أمة، والذي يحوصل حالتها هو وزنها السياسي، بمعنى مدى قدراتها على الدفاع عن مصالحها وحماية مواطنيها، ورفع مستوى الرفاهية بينهم، ثم بمدى تأثيرها في القرار الدولي العام.

فإذا تحدد المعيار العام يمكننا أن نقول: إن حال الأمة، سواء نظرنا إليها من خلال الدولة القطرية والأجزاء المتنوعة التي تمثلها، أو في الأشكال التجمعية لها في شكل المؤتمر الإسلامي أو جامعة الدول العربية، يمكننا أن نقول: إنها بالمقارنة بمثيلاتها في الوضع الدولي ضعيفة، وغير قادرة على حماية مصالح من تمثلهم بالشكل الذي نتمناه

كأفراد في هذه الأمة، وهذا موضوع قد تجمع عليه أغلبية غالبة من الأمة اليوم، وتشهد له أوضاع مثل: العراق وفلسطين وأفغانستان ولبنان والصومال، وغيرها في الواقع الراهن.

والأمر الذي يطرح نفسه عند هذا المستوى من التحليل، ما الذي يكرس الوضع القائم ويديم حالة التراجع أو التخلف عن ركب الأمم الصاعدة اليوم في مجال القوة السياسية تحديدًا، رغم وجود الرغبة وإلحاح السؤال على الأفراد ومتخذي القرار؟

أعتقد أن هناك ثلاثة تحديات تواجه حالة الحراك النهضوي في الأمة اليوم:

الأولى: منطقة اتخاذ القرار:

افتقاد الحكومات الصالحة (نظام الحكم الرشيد)، وبالتالي لا تستفيد الأمة من مواردها المادية والبشرية وطاقاتها الروحية في عملية الاحتشاد في مسار النهضة، بل تواصل عمليات الهدر في جميع مواردها، وتتحول من الانشغال بالمشروع الخارجي إلى التآكل الداخلي؛ ولذلك أسباب ليس هذا موضع تناولها.

الثانية: منطقة ترشيد القرار:

وهي الفئات المهتمة بالشأن العام من المفكرين والمثقفين وقادة المجتمع على المستوى التصوري والروحي؛ حيث تضطرب الرؤى والتصورات، وتنتشر الأفكار القاتلة لتشغب على الأفكار الحية، فتتعثر حركة الإصلاح والترشيد بما تبثه هذه الطبقة من مقولات وتفسيرات، وما ترتبه من أولويات وقضايا.

الثالثة: اختلال الموازنة بين متطلبات النموذج والمثال وحركة الواقع أو تحريكه في اتجاهه، وبالتالي عندما يحدث اختراق تاريخي يلزم تطويره (نموذج العراق العلمي)، يتم تدميره بسبب تحميل النموذج أكثر مما يحتمل عبر مغامرات غير محسوبة، وفي جميع النماذج التاريخية يشترك نموذج سوء القرار مع الأيديولوجيا المتطرفة، فتدمر إنجازات عظيمة للشعوب (نموذج هتلر، نموذج الاتحاد السوفيتي).

وبالتالي أعود للتركيز بأن التخلف التاريخي رغم ارتباطه بالوضع الراهن كمقدمة له، إلا أنه يجب النظر للوضع الراهن ومعضلاته، وكيف تجاوزتها الأمم المجاورة من الشعوب المستضعفة، وأخذ العبرة، فذلك أجدى وأقوم سبيلاً.

والله من وراء القصد.

د. زكي ميلاد

رئيس تحرير مجلة الكلمة بيروت

العالم الإسلامي ومهمة المراجعة التاريخية

سوف أقترب من الواقع المعاصر متسائلًا عن الأسباب التي جعلت العالم الإسلامي يصل إلى هذا الوضع الذي نحن عليه اليوم؟

أعتقد أن البحث في الأسباب التي جعلت العالم الإسلامي يصل إلى هذا الوضع المتأزم، ينبغي أن تقودنا إلى أعظم مراجعة تاريخية ونقدية ننهض بها حول واقع ومصير ومستقبل العالم الإسلامي، وعلى أساس المدة الطويلة للتاريخ حسب عبارة فرناند بروديل، بحثًا في الجذور، وتوغلًا في الأسباب، وبقصد توخي الشمولية في النظر والتحليل، كما أن البحث في طبيعة هذه الأسباب، لابد أن يقودنا إلى ثلاثة خصائص في تحليل هذه الأسباب:

أولًا: الطبيعة التاريخية لهذه الأسباب، بمعنى أن هذه الأسباب لها امتدادات في التاريخ ينبغي الوصول إليها، والكشف عنها، بغض النظر

عن تعدد وجهات النظر بإرجاع هذه الأسباب إلى التاريخ الحديث، أو التاريخ الوسيط، أو التاريخ القديم.

ثانيًا: الطبيعة المركبة لهذه الأسباب، بمعنى أن هناك عناصر متعددة، وأبعادًا مختلفة، شاركت وساهمت في تكوين الوضع الذي وصل إليه العالم الإسلامي، وبالتالي لابد من إعمال النظر في جميع تلك العناصر والأبعاد، والتخلي عن النظرة الأحادية أو التجزيئية، فلا يكفي تحليل تلك الأسباب من زاوية البعد السياسي فحسب، أو البعد الثقافي، أو البعد الاقتصادي، أو البعد الاجتماعي، إلى غير ذلك من أبعاد، وإنما لا بد من النظر في جميع هذه الأبعاد بطريقة مركبة.

ثالثًا: الطبيعة المتشابكة لهذه الأسباب، بمعنى أن هذه الأسباب تتشابك فيها العوامل الداخلية بالعوامل الخارجية، وتتشابك فيها العوامل الذاتية بالعوامل الموضوعية، فلا ينبغي النظر إليها من زاوية العوامل الداخلية، وإهمال العوامل الخارجية أو العكس.

ولعل من أعمق الأسباب التي ينبغي التوقف عندها باهتمام أمام الوضع الذي وصل إليه العالم الإسلامي، هو تعثر أو فشل مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي منذ عصر الإصلاح الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وإلى اليوم، تلك المشاريع التي كان ينتظر منها أن تساهم في ارتقاء العالم الإسلامي نحو التقدم والمدنية، وعدم الارتقاء إلى مثل هذا المستوى هو الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه.

العالم الإسلامي في مجموعه ليس كما كان في عصور ازدهاره، وليس كما ينبغي أن يكون، وهو يحمل رسالة السماء إلى الأرض، وليس كما نتمنى أن يكون، فأين الخلل؟

وأنا لا أقصد بلدًا إسلاميًّا بعينه بل مجموع العالم الإسلامي الذي يمتد من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، والذي يعد أكثر من ألف وثلاثمائة مليون.

لو أن المركبة مبنية على علم متطور، وفيها أجهزة وتوصيلات بالغة الدقة والتعقيد، فإن توقفت هذه المركبة عن السير فلابد من أن نعكف على دراسة مبادئ الحركة ونظام التوصيلات، وأن نراقب سلامة الأجهزة حتى نكتشف موطن الخلل تمهيدًا لإصلاحه، إذن لابد من اكتشاف الخلل، ثم لا بد من سد هذا الخلل، أما إذا وقفنا إلى جانب المركبة وملأنا الفضاء صياحًا، وضجيجًا وبكاءً وعويلًا ودعاءً، فما الذي يحصل؟

لا يحصل شيء، وتبقى المركبة معطلة، وهكذا حالنا مع الله، لا بد من أن نعكف على دراسة السنن الثابتة التي سنها الله تعالى لتحديد موطن الخلل ثم إصلاحه.

إن القضية الأساسية في التعامل مع الأحداث الجسام ليست تصديق وقوعها، أو عدم تصديقه، فطبيعة العصر من حيث التواصل الإعلامي المذهل، وثورة المعلومات المتفجرة، واجتماع الأمم والشعوب في غرفة إعلامية واحدةٍ يلغي موضوع التصديق، أو عدم التصديق، ولكن العبرة في التعامل مع الأحداث الجسام، وتحليلها التحليل الصحيح، ثم اتخاذ موقف، والانطلاق للعمل من الموقف، ولنضرب على ذلك مثلًا:

لو أن صاحب سيارة في أثناء قيادته لها، تألق ضوء أحمر في لوحة البيانات التي أمامه، فالمشكلة ليست في تصديق التألق، أو عدم تصديقه، لقد رأى تألق هذا الضوء بعينيه، ولكن المشكلة في فهم هذا التألق وتحليله، والسلوك الذي يبنى على هذا الفهم والتحليل، فلو فَهم التألق على أنه ضوء تزييني، فتابع السير لاحترق المحرك، وتكلف لإصلاحه مبلغًا كبيرًا وتعطل سيره إلى هدفه، أما إذا فهم هذا التألق على أنه ضوء تحذيري، أوقف السيارة، وأضاف الزيت، وسلم محرك السيارة من الاحتراق، وتابع سيره إلى هدفه، فالعبرة لا في التصديق وعدمه، بل في فهم الحدث وتحليله.

وإنني أؤمن أن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، وأن فهم الأحداث الجسيمة المصيرية يجب أن يكون فهما قرآنيًا توحيديًا علويًا؛ وليس فهمًا ماديًا شركيًا أرضيًا فالمعركة بين

حقين لا تكون؛ لأن الحق لا يتعدد، والمعركة بين حق وباطل لا تطول؛ لأن الله مع الحق، وبين باطلين لا تنتهي، عندئذٍ يكون الحديث عن القوة كالقنبلة الذرية والنووية والعنقودية والانشطارية والذكية والخارقة، ثم الحارقة، والقنبلة التي تعطل الاتصالات والتي تعطل الطاقات، ثم الحديث عن حاملات الطائرات، وعن الصواريخ العابرة للقارات، وعن الأقمار الصناعية التي تصور كل بقعة في الأرض، ثم الحديث عن الإعلام الذي يشكل النفوس الضعيفة كما يريد.

إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف، ليس دعوة إلى الرضا بالضعف، أو السكوت عليه، بل هو دعوة لاستشعار القوة حتى في حالة الضعف، إذن يجب أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه، ولصار الضعف قوة؛ لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله في حفظه ورعايته، فإذا قوة الضعف تهد الجبال وتدق الحصون، كما ترون وتسمعون، أنت قوي وهذا سر ضعفك، وأنا ضعيف، وهذا سر قوتي! لذلك نستطيع أن نقاتل القنبلة الذرية، أي: بتربية جيل مسلم ينهض بأمته.

وبشيء من التفصيل نقول:

هل نبحث عن الخلل لنسده؟ أم نعرف الخلل ولا نعرف كيف نسده؟ وهل المشكلة في صعوبة التشخيص أم في وصف العلاج؟ أم في الإيمان بجدوى العلاج والصبر على تناوله؟ أي: هل تتجسد مشكلاتنا في عدم وجود الطبيب القادر على التشخيص؟ أم في عدم وجود الدواء النافع في اقتلاع الداء؟ أم أن المريض نفسه غير قانع بالدواء، أو قادر على تناوله؟

ويمكن أن تكون المشكلة أكبر من ذلك، فكلمة خلل تعني أن الغاية واضحة، وأن الطريق إليها سالكة، وأن الوسيلة مهيأة، ولكن خللًا أصابها، وكلمة خلل تعني أن القضية صغيرة، لعل القضية أكبر من ذلك، غيبة الوعي الإسلامي، فقدان الهوية الإسلامية، اختفاء الطريق، فقد الوسيلة، هذا حجم المشكلة، لا أتحدث عن بلد إسلامي بعينه، أتحدث عن مجموعة المسلمين، في شتى أقطارها؛ لأن أعداء الإسلام وضعوا كل المسلمين في سلة واحدة، إذًا ينبغي أن نقف جميعًا تجاههم في خندق واحد.

إن من مُسَلَّمَات الإيمان أن وعود الله للمؤمنين بالنصر كثيرة جدًّا، وأن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده هذه للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥).

فكيف نوفق بين وعود الله للمؤمنين بالنصر وما أكثرها وواقع المسلمين الذي يتناقض مع هذه الوعود أشد التناقض، فليس جندهم الغالبون، وليست كلمتهم هي العليا، وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل؟

الحقيقة أن الإجابة نجدها في القرآن الكريم كما ورد عن رسول الله ﷺ واصفًا القرآن: «فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم»، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (مريم: ٥٩)، وقد لقي المسلمون ذلك الغي، وقد أجمع العلماء على أن إضاعة

الصلاة لا تعني تركها بل تعني تفريغها من مضمونها؛ بحيث لا تنهى عن الفحشاء والمنكر.. وأما اتباع الشهوات فقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ (الشعراء: ٨٨–٨٩)، والقلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، ولا يصدق خبرًا يتناقض مع وحي الله، ولا يحتكم لغير شرع الله، ولا يعبد غير الله..

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ (النور: ٥٥).

فالدين الذي وعد الله بتمكينه هو الدين الذي يرتضيه، فإن لم نُمكن في الأرض كمسلمين فمعنى ذلك أننا بحسب مصداقية وعد الله (ومن أصدق من الله؟) (ومن أوفى من الله؟) أن فهمنا للإسلام، وتطبيقنا لأحكامه، وعرضنا له للأطراف الأخرى لم يرتضه الله عز وجل؛ لذلك لم نُمكَّن في الأرض، وأن مظاهر سقوط العالم الإسلامي هي أعراض لمرض واحد هو البعد عن الله، وأن التفسير الذي أعتمده لسقوط العالم الإسلامي، أن هان أمر الله علينا فهُنَّا على الله.

وهؤلاء الذين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه... وقال تعالى: ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ (المائدة: ١٨).

يقول الإمام الشافعي: لو أن الله قبل منهم عملهم لما عذبهم؛ لأن الله لا يعذب أحبابه.

هناك حيز يملكه الإنسان، وأراه نافذة فيه يتسع ويضيق، إذا ضاق فلن يضيق عن بيته وعمله، وهناك حيز لا يملكه، بل هو جزء منه، وقد

يوجد في هذا الحيز الذي لا يملكه قوى طاغية تتربص به، فإن أقام أمر الله فيما يملك كفاه ما لا يملك، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

ويقول تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ (إبراهيم: ٤٦-٤٧).

ويقول أيضًا: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ﴾ (آل عمران: ١٢٠).

من خلال هاتين الآيتين يتضح أن مكر الأعداء لهوله تزول منه الجبال.. وفي الوقت نفسه يبين الله للمؤمنين أن هذا المكر على عظمه لا يمكن أن ينال من المؤمنين إذا هم صبروا واتقوا.

إذن يتضح أن الطاعة مع الصبر طريق إلى النصر؛ أما المعصية مع الصبر فهي القهر، وهي طريق إلى القبر.

والنصر الذي يتطلع له المؤمنون يحتاج إلى شرطين: كل واحد منهما لازم غير كاف، أما الأول فهو الإيمان وضابطه أن يحمل صاحبه على طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)، وأما الشرط الثاني فهو الإعداد مع استنفاذ الجهد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠).

هذا الذي أدليت به تحليل قرآني لسقوط العالم الإسلامي، وبيان لطريق الخلاص، فإن أصبت في التحليل، والتعليل، وشرح ورقة العمل فمن توفيق الله، وإن لم أصب فمن تقصيري وجهلي، وأختم هذا التحليل والترشيد بمقولة لعالم أمريكي هداه الله للإسلام، وقد زار بريطانيا، والتقى بالجالية الإسلامية هناك، قال: (أنا لا أصدق أن العالم الإسلامي يستطيع اللحاق بالغرب على الأقل بالمدى المنظور، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين، لا لأنهم أقوياء، بل لأن في الإسلام خلاص العالم، ولكن بشرط: أن يحسن المسلمون فهم دينهم، وأن يحسنوا تطبيقه، وأن يحسنوا عرضه).

د. شوقي أبو خليل

سقوط العالم الإسلامي، وليس سقوط الإسلام؛ لأن الإسلام محفوظ من الذي أنزله؛ فالأزمة أزمة مسلمين، لا أزمة إسلام.

أسباب سقوط العالم الإسلامي كثيرة ومتضافرة، وأرى السبب الأهم أن هذه الأمة أمة (اقرأ)، و(اقرأ) تعني علما وتعني حضارة منطلقها (اقرأ)، ولما فهمت هذه الأمة المراد من (اقرأ) استطاعت في القرن الهجري الأول إتمام فتوحاتها، وفي القرن الثاني الهجري بلغت الأمة أوج مجدها الحضاري أيام الرشيد والمأمون، وأبدعت الأمة بعد أن ترجمت ودرست وصوبت، والإبداع كان في العلوم كلها دون استثناء، أبدعت في الصناعات، في الكيمياء، والفيزياء، والعلوم، والفلك، والرياضيات..

فكانت الأمة ترى أن العلوم جميعها كلٌّ لا يتجزأ بما فيها الصناعات العسكرية.

وبعد هذه الفترة الذهبية، جمدت الأمة حينما قسمت العلوم إلى علوم شرعية يهتم بها، وعلوم دنيوية (كونية) أهملت، ونسوا أن (اقرأ) طلبت العلوم كلها، وهذه العلوم الدنيوية (الكونية) فرض كفاية، وقال العلماء:

فرض الكفاية أفضل من فرض العين، من حيث إن فاعله يسد مسد الأمة، ويسقط الحرج عن الأمة، وفرض العين قاصر عليه[1].

وقالوا: «واعلم أن للقائم بفرض الكفاية خيرة على القائم بفرض العين؛ لأنه أسقط الحرج عن الأمة».

(اقرأ) تعني حضارة متكاملة، دنيا وآخرة، فالحياة دين، والدين حياة لا انفصام بينهما.

أهملنا أمورنا الحياتية، وكان التركيز على أمور الآخرة، مع تكرار وجمود واختلاف، فما هي إلا فترات متلاحقة سريعة، وتأخرت العلوم، وتفوق أعداء الأمة عسكريًّا حتى اليوم، مع مراقبة دقيقة لكل نهضة علمية لإجهاضها في مهدها، لقد بدأت مصر نهضتها العلمية مع اليابان، ونجحت نهضة اليابان، وأجهضت نهضة مصر، وكل بلد إسلامي اليوم تحارب نهضته العلمية، ويُغتال العلماء، ناهيك عن هجرة العقول واستيطانها في الغرب حيث الرعاية والعناية والإغراءات، فسلعتنا المصنعة مستوردة، والعائدات الضخمة تنفق على كماليّات، مع تغييب خطة نهضة صناعية تحقق الاكتفاء الذاتي، وتلغي نسبة البطالة. المواد الأولية والفلزات، والإنتاج الزراعي يباع بأبخس الأثمان، ليعاد إلينا مصنعًا بأسعار باهظة، لا يمكن لهذه الأمة النهوض إلا برعاية علمية شاملة ترى أن العلوم كلها فروض كفاية، انطلاقًا من (اقرأ)، فالخلل في فهم المراد من (اقرأ)، فإن استقام الفهم، نهضت الأمة من جديد، وعوفيت من آلامها، والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا.

---

(١) ينظر: المجموع شرح المهذب (٢٦/١).

د. عبد الكريم بكار

ما أسباب سقوط العالم الإسلامي؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإننا لا نختلف في أن الموقع العالمي لأمة الإسلام ليس بالشيء المرضي لا على الصعيد الاقتصادي، ولا على الصعيد العلمي والتقني، ولا على الصعيد السياسي والمعيشي، لكن حين ندخل في التفاصيل فإننا سنختلف حول الكثير من الأمور... ومما يثير الخلاف هذا السؤال المطروح علينا اليوم، كل ما يقال حول أي قضية من القضايا يظل غامضًا أو غير ذي معنى إذا لم نقم بتحديد المصطلحات والمفاهيم المستخدمة في تحليلنا وأحكامنا، ولهذا فنحن هنا في حاجة إلى تحديد المراد بالعالم الإسلامي والمراد بالسقوط وتاريخ ذلك السقوط وأبعاده المختلفة.. وهذه مقاربات سريعة في هذا الشأن.

١- ليست أوضاع العالم الإسلامي واحدة؛ إذًا لا نستطيع مقارنة

وضع الصومال وبنغلاديش والنيجر والسودان... بماليزيا أو السعودية أو سوريا؛ بل لا يصح أن نقول إن درجة التحضر في المجموعة الأولى أو المجموعة الثانية واحدة، ولهذا فإن الحديث عن تقدم العالم الإسلامي حديث شديد العمومية، ومن البدهي أننا لا نريد إلقاء الكلام على عواهنه وإثارة المزيد من مشاعر اليأس والإحباط.

٢- إذا أردنا فعلًا أن نتعرف على أسباب ما يسمى بسقوط العالم الإسلامي، فلا بد من رصد الواقع وقراءته بشكل منهجي، وهذا لا يتم دون تقسيم هذا الواقع إلى مجالاته الرئيسة: التربوية والتعليمية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والصناعية، وبعد ذلك يتم تفحص كل مجال من خلال الأرقام والمؤشرات والمعطيات المتوفرة، ومقارنتها بما لدى الأمم الأخرى؛ لأن الأرقام المطلقة لا تبني شيئًا، فالعالم اليوم أشبه بسوق واحدة، وقيمة ما في جيبك من مال، تقدر بما تستطيع شراءه من تلك السوق.

٣- ما الذي تعنيه كلمة السقوط: هل هو الانهيار؟ أم التراجع؟ وحتى نفهم معنى السقوط علينا أن نقيّم الحالة التي كنا فيها قبل فترة السقوط، وفي هذا الإطار هل نقيس واقعنا الآن أو ننظر إليه من خلال فترة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أو من خلال فترة ازدهار الحضارة الإسلامية في القرنين الثالث والرابع الهجري؟ أو من خلال ماذا؟ أو أننا لا نلجأ إلى المقارنة، ونقول: إننا في وزن أحوالنا الحاضرة لا ننظر إلى التاريخ، وإنما نحكّم المنهج الرباني الأقوم؟ وإذا قلنا بهذا نواجه بعض المشكلات، فكلمة (سقوط) الواردة في السؤال تدل على أننا كنا في مكان مرتفع،

ثم انحدرنا منه، فما مواصفات ذلك المكان؟ ثم إن المنهج الرباني الأكرم الذي رزقنا الله تعالى الإيمان به لا يمنحنا المؤشرات التفصيلية في كثير من أحوالنا الاقتصادية والعسكرية والتربوية، ولا بد كما ذكرت من أن نعود إلى ما لدى غيرنا؛ لنرى واقعنا على الخارطة العالمية.

٤- هذا الكلام يأخذ بأيدينا إلى محاولة فهم الماضي الذي يُعدّ استيعابه ضروريًّا؛ لمحاولة بناء صورة تقريبية عن الحاضر، وإذا عدنا إلى هذه المرحلة؛ فسنجد أن فهم الماضي بحذافيره وتفصيلاته أمر في غاية الصعوبة، حيث إن لدينا غموضًا شديدًا يكشف ما كان سائدًا على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، ولدينا غموضٌ شديدٌ حول نسبة الخير ونسبة الشر والصلاح والفساد في تلك المجتمعات، كان هناك من يحرص على صلاة الجماعة، ومن يزكِّي، ويقوم الليل، ويحرص على الاستفادة من الوقت، ويهتم بالقراءة واقتناء الكتب... فما هي نسبة هؤلاء إلى مجموع الناس؟ ليس لدينا مؤشرات يوثق بها في كل هذا، وكان في مجتمعاتنا التاريخية من يكذب، ويقتل ويسرق، ويزني، ويأكل أموال الناس بالباطل... فكم كانت نسبتهم إلى مجموع الناس؟ أيضًا هذا غير واضح.

٥- مضت سنة الله تعالى في الخلق على أن لا تتسع مرحلة سابقة لمرحلة لاحقة، وذلك على مستوى النُّظُم والقوانين والأساليب والآليات، ودليل ذلك شعور الصحابة رضوان الله عليهم وشعور من جاء بعدهم - إلى يوم شعورهم - بالحاجة إلى الاجتهاد واستخدام النظم والآليات على نحو مستمر، وحاجتهم إلى الاقتباس والاستعارة مما لدى الأمم الأخرى،

وهذه الوصفية الواضحة تمام الوضوح تعني: أنَّ الماضي لا يصلح على نحو وافٍ وكامل معيارًا لوزن الحاضر وتفسيره والحكم عليه؛ لأن الكأس الصغير لا يتسع لماء الكأس الكبير، وهذه نقطة في غاية الأهمية.

٦- في الماضي كان لدينا شيئان بارزان:

الأول: هو ضعف النِّظَام السياسي، فهناك تفكك سياسي واسع النِّطاق، وهناك ظلم واستبداد، وفِتن داخلية لا تكاد تتوقف في مكانٍ حتى تبزغ في مكانٍ آخر، وهناك حيرة واضحة بين اللامركزية والمركزية، كما أن هناك ارتباطًا شديدًا في تنظيم مسائل الشورى وانتقال السلطة والمعارضة، وهذا جعل بعض الباحثين المسلمين يصف تاريخنا بأنه رمادي اللون، وهذا حكم لا يبتعد كثيرًا عن الواقع.

الثاني: هو انتشار الجهل والأمية، فالتعليم لم يكن وقتها إلزاميًّا كما هو الشأن في كل العالم آنذاك ولم يكن لدى الدولة نظام واضح لنشر المعرفة، كما أن الأُطُر والأدوات التثقيفية كانت محدودة للغاية، وهذا كله يعني أن الأمية كانت منتشرةً على نطاقٍ واسعٍ جدًّا، ولكن ليس لدينا أيَّة أرقام أو إحصاءات لذلك.

في ظل الضعف والفساد السياسي وضعف انتشار العلم بين أظهر الناس - أتوقع أن يكون هناك بيئة غير صالحة للتدين وفهم جوهر الإسلام على النحو الصحيح، فالإسلام بنية حضارية راقية لا يستوعبها تمام الاستيعاب ولا يتفاعل معها على نحوٍ مثمرٍ من كان أميًّا أو ضحل المعرفة؛ ولهذا كانت بداية الوحي تحث على القراءة والكتابة، كما أن

الفساد السياسي والحروب والفتن الداخلية من الأمور التي لا تساعد على الاستقرار والإنتاج الحضاري الجيد، وانطلاقًا من كل هذا فلا ينبغي لأحدٍ أن يتصور أنَّنا كنَّا في القمة ثم هوينا من شاهق، ولو أنك عدت إلى التاريخ وسمعت كلام الأقوام في سابق الأزمان حول حياتهم وأوضاعهم لوجدت أن هناك الكثير من الشكوى والتبرم، وربما تجد أن كل من تقرأ لهم لم يكونوا راضين عن زمانهم.

٧- الذي أخلص إليه من وراء كل ما سبق أنَّ العالم الإسلامي لم يسقط بل إنَّ لدينا اليوم جوانب مشرقة، تحتاج إلى تعزيز، ولدينا جوانب مظلمة، تحتاج إلى علاج.. وإذا كنتُ قد أثرت الكثير من الأسئلة، وقدمت القليل من الأجوبة، فأعتقد أن هذا الأسلوب في البحث هو أسلوب منهجي؛ حيث إن إثارة الأسئلة والإشكالات توجه التحليل، وتساعد على إصدار الأحكام الراشدة.

نسأل الله تعالى التوفيق لما هو خير وأبقى.

أ. محمد عدنان سالم

مدير عام دار الفكر السورية

أسباب تدهور العالم الإسلامي

إن مشكلة العالم الإسلامي في صميمها هي مشكلة حضارته... فلقد استطاع على هدي رسالة السماء (اقرأ) أن يبني أسرع حضارة وأوسعها وأكثرها عطاء في التاريخ الإنساني، ثم كبا جواده كبوة طال أمدها، فلا يزال يتلمس سبل النهوض منها قرونًا، من دون أن يفلح.

ليس غريبًا أن يكبو الجواد؛ فلكل جواد كبوة، وليس غريبًا أن تغرب شمس الحضارة عن أمة؛ فلكل إشراقة شمس مغرب؛ لكن الغريب ألا يتبع الكبوة نهوض، وألا يتبع الغروب شروق.

الحضارة دولة بين الأمم، وللحضارة دورة يصعد بها جيل، ويستمر بها جيل يليه، ويهبط بها جيل ثالث، كما رصد ذلك ابن خلدون... ثم وضَّح المفكر الجزائري (مالك بن نبي) هذه الدورة الحضارية بخط بياني يمثل معادلة رياضية طرفاها الواجب والحق، ومحصلتها الحالة الحضارية

التي تعيشها الأمة، فجيل الصعود: هو جيل العطاء والتضحيات الذي لا يرى بعينه إلا الواجبات متناسيًا الحقوق، واثقًا من أنَّها حاصلة بشكل تلقائي، فإذا قام كل فرد في الأمة بواجبه؛ حصَّل كلٌ على حقه تلقائيًّا من دون أن يطلبه، وبذلك ترجح كفة الواجبات والعطاء الذي يشيد الحضارات، ثم يأتي من بعده جيل يتمتع بالمستوى الحضاري الذي تركه الآباء حقًّا من حقوقه، في الوقت الذي لا تزال لغة الواجبات وأدائها ماثلة أمام عينيه، فتتعادل كفتا الحقوق والواجبات، وتسير الحضارة فيه على خط مستقيم يعطي بقدر ما يأخذ... ثم يأتي الجيل الثالث: يطلب حقه في الاستمتاع بمنتجات حضارة الآباء، وينسى واجبه في إضافة لبِنَات جديدة على البناء؛ فيميل خطه للانحدار حتى يصل إلى الهاوية... تلك سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسُنَّة الله تبديلًا؛ ففي بلد كل من فيه يطلب الحقوق، من يعطي هذه الحقوق؟ ولمن؟

وقد أكد رسول الله ﷺ هذه السُّنَّة للدورة الحضارية الخالدة، فقال الرسول ﷺ: «خيرُ الناسِ قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» [متفق عليه]، يُعدُّ الأجيال الثلاثة التي رصدها من بعد ابن خلدون ومالك بن نبي. وعلى الرغم من أن مالك بن نبي أكد إمكان استعادة الأمة دورتها الحضارية في عملية تبخير تنقيها من الشوائب العالقة بها، ثم تقطير تعيد إليها فعاليتها وطاقتها الحضارية الكامنة فإن الأمة الإسلامية لم تستطع أن تنهض من كبوتها، بل إنها تعمدت إساءة فهم حديث الرسول ﷺ المشار إليه، وصرفه عن مغزاه الحضاري العميق؛ فتطوعت بإضافة أجيال تالية للجيل الثالث؛ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم إلى ما لا نهاية، لتريح نفسها من عناء النهوض ثانية، معمقة الهوة التي تردت إليها،

مخلدة إلى الأرض، باحثة عن كهف تغط فيه في نوم عميق، تتقلب فيه ذات اليمين وذات الشمال، إلى أن يأذن الله بإيقاظها ولن يفعل حتى يغيروا ما بأنفسهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (الرعد: ١١).

العالم الإسلامي يعاني اليوم من حالة وهن حضاري مزمن، استسلم لها كمرض عضال لا يرجى برؤه، أو كحتمية سننية لا فكاك منها، وكأن الرسالة الخاتمة جاءت لتطبق في الأرض مرة واحدة ثم تتلاشى وتستمر في التلاشي حتى يرث الله الأرض، وهو فهم يتنافى مع منطق القرآن الكريم الذي يرتب النتائج على الأعمال.

﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ (٤١)﴾ (النجم: ٣٩ – ٤١).

لا بد من تشخيص العلة، وقد تلخصت عندي في مثلث العجز:

١- الأحادية، التي أنتجت التعصب وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وذهبت بالتعدد والاختلاف الذي أقام الله – تعالى – نظام الكون على أساسه، وجعل نماءه وارتقاءه مرهونًا به.

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ (البقرة:٢٥١)
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨).

٢- الماضوية التي حولت تاريخهم إلى قوة جذب تشدُّهم إليها، بدلًا من أن يستثمروها كقوةٍ تدفعهم إلى مستقبل أفضل؛ يضيفون به جديدًا

إلى ما صنعه الآباء.. تراهم يسوغون عجزهم بمنظومة فكرية تقوم على مقولات انهزامية؛ مثل: لم يترك الأول للآخر شيئًا، يحملون بها الآباء مسؤولية حل مشكلاتهم المستجدة، ويحملونها إليهم في قبورهم؛ يستفتونهم فلا يجيبون، والله تعالى يستنفرهم ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون، وهل الفقه غير الإلمام بالواقع لتنزيل النص عليه وإعماله فيه؟!

٣- النخبوية التي فرزت الأمة إلى خواصٍّ اختصوا أنفسهم بالنظر، وعوام أعفوا أنفسهم منه، فانفصم بذلك النظر عن العمل، وفقدت الأمة فاعليتها وسار العلم بجانب الخواص، ومضى العمل بغير علم لدى العامة، فتحولت الأمة إلى ظاهرة صوتية تقول ما لا تفعل، وتنظر ولا تعمل، وتعقد عشرات آلاف الدروس والمؤتمرات والندوات، تذهب توصياتها أدراج الرياح أو أدراج المكاتب، فأنكر الله – تعالى – عليهم ذلك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢).
﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (الصف: ٣).

أرجو بذلك أن أكون قد أجبت على سؤالك.
وأعرب لك عن بالغ التقدير.

د. مهدي علي قاضي

مشرف موقع (عودة ودعوة)

على الرغم من أنَّ نص السؤال فيه شدة إلا أنه مفيد من حيث إشعاره لنا بعبارته القوية بالمأساة الضخمة وبالتحدي الكبير الذي نعيشه في عصرنا الحاضر، ويحضرني هنا اسم الكتاب الشهير للعلامة أبي الحسن الندوي رحمه الله: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟».

أما من أسقطه؟

فبشكل عام أسقطه الفرد المسلم عندما غفل وأغفل عن حقيقة الإسلام وصدق التمسك به والتزام أوامره في كل الأمور وجعله الهدف الذي يعيش من أجله.

قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ (محمد: ٧).

وقال ﷺ في الحديث الصحيح عن ابن عمر: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلَّط الله عليكم ذلًّا لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم». سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

وبدون تحقيق صدق التمسك بأوامر الدين والتطبيق الحقيقي الكامل للشرع والذي يبدأ حصوله كما يبدأ انحرافه من أفراد الأمة بدونه لا تنتصر أمة الإسلام حتى وإن اتحدت وتوحَّدت وتقدمت علميًّا وعسكريًّا؛ لأن سُنَّة الله الحكيم اقتضت ذلك.

- نعم بعض الأفراد مسؤوليتهم أكبر، فالحاكم - الذي يؤثر في الملايين - يتحمل مسؤولية بقدر وعدد هؤلاء المسؤول عنهم والذين يضيعهم؛ إن قصَّر في مسؤوليته الفردية كحاكم واجبه أن يطبق فيهم شرع الله ويربيهم على حبه والتمسك بتعاليمه وأوامره والحرص عليها ومنع ما يخالفها.

وهكذا تكبر المسؤولية أو تصغر بقدر حجم المسؤول.

وممن مسؤوليتهم كبيرة جدًّا لعظم قدرهم علماء الأمة، فهم من أكبر المؤثرين فيها إذا تحركوا وتجردوا وقاموا بدورهم المأمول حق القيام؛ فأخذوا بيد الأمة وشعوبها بكل فعالية يستطيعونها إلى طريق الهدى والرشاد، وضحوا في سبيل ذلك، وواجهوا بالحق وبالطرق السليمة من ضيع الأمة ويضيعها من المسؤولين أو الحكام، ولم يجاملوهم ويسكتوا عن منكراتهم ويمدحوهم بطريقة تجعل الأمة تنخدع بهم وتستمرئ أوضاعهم والمنكرات والمخالفات الشرعية التي رَبُّوا الأمة عليها.

وإذا أردنا تفصيلًا وأمثلة أخرى عن أسباب سقوط الأمة ومن أسقطها فيمكن أن نقول:

أسقط عالمنا الإسلامي مسئول الإعلام (الذي أصبح أقوى وأهم وسائل التأثير في الأمم والشعوب)، وأي عامل في أي وسيلة منه عندما

لم يتق الله في مشاركته وتمريره ومساعدته ومساهمته في عرض وإنتاج أي شيء يخالف الشرع في أية جزئية من جزئياته، أو يضر الأمة ويلهيها عن واجباتها.

أسقطته انحرافات خطيرة وقعت فيها الأمة في جانب العقيدة والفكر والتصورات وأصول الحكم والسياسة.

أسقطه المسؤول المسلم – الذي رضي بترك المنكرات وما يخالف الشرع يمضي ويعمل فيما تشمله مسؤوليته ويسأله الله عنه، ولم يقف وقفة قوية؛ لإصلاح ما تحت يديه وتوجيهه؛ ليكون كله مصدر خير للأمة؛ لا مصدر إثم وضرر عليها.

أسقطه الفرد المسلم؛ عندما ترك التمسك بأمور دينه وأصرَّ على أخطاء ومعاص في أي جانب من جوانب الدين: الأخلاق، المعاملات، والسلوكيات الظاهرية والقلبية (التي كثيرًا ما تنسى).. وغير ذلك.

أسقطه الفرد المسلم؛ عندما رضي بأن يعمل أو يشارك في أي مكان أو أي عمل أو أي جزئية يكون فيها مساعدًا ومعينًا ومشجعًا لما لا يرضاه الله، ومن ثَمَّ يؤخر النصر على أمتنا.

أسقطه الفرد المسلم؛ عندما استمرأ الذل والهوان وجبن عن قول الحق ومقارعة أصحاب الهوى والإضلال والإفساد؛ بل نافقهم

فأضلهم هم أنفسهم وأضل الأمة بهم... خاصة إن كان ممن وهبه الله قدرات في الأدب أو الفكر أو غير ذلك.

أسقطه التاجر المسلم الذي أصبح في العديد من تجاراته ومعاملاته لا يحرص الحرص اللازم على الابتعاد عن التعامل أو دعم أي أمر فيه مخالفة ولو جزئية لأوامر الدين أو أية قيمة من قيمه.

أسقطه الفرد المسلم عندما قصر في وسائل النهضة المادية لأمته فأهمل دراسته وعمله ولم يجد في العمل القوي لإخراج الأمة من التخلف التقني والعلمي الكبير الذي تعيشه.

أسقطه الفرد المسلم عندما قصر في بذل الجهد الواجب الكبير المهم خاصة في عصرنا الحاضر الذي بعدت فيه الأمة في واجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح مجتمعاتنا، خاصة وهو يرى الذبح والذل والهوان الكبير الذي تعيشه الأمة والذي لا حَلَّ جذري حقيقي له إلا دعوة الأمة لتعود إلى التمسك الكامل الحق بدينها لتعود كل أمور الخيرية لها، وكما ذكر الشيخ محمد جميل عقاد رحمه الله في عبارته الذهبية عن القدس، ولكنها تشمل كل أمور عزتنا: «لن تعود حتى نعود».

أسقطه الفرد المسلم عندما قصر في تعلم أمور دينه التعلم الكافي، مع أنه يعرف أنه لم يخلق إلا من أجل الدين والعبودية للجليل، وتحقيق خلافة الله في الأرض.

أسقطه الفرد المسلم (رجلًا كان أو امرأة) عندما انشغل وتعلق تعلقًا كبيرًا بالدنيا وألبستها ومساكنها وبهرجها وزخرفها ومفاخرها والذي فاق في بعض مظاهره اهتمام الكافرين بزخرف دنياهم، حتى وهو يرى إخوانًا له يموتون ويتضورون جوعًا أو ينهكون قتلًا وتشريدًا يدمي القلوب ويبكي الحجر.

أسقطه الشاب المسلم والفتاة المسلمة عندما استسلموا لتضليل أعداء الدين لهم.. فانقادوا لما يحثونهم عليه ويخدعونهم به بأنه مظهر الرقي وطريق الحرية، وكانوا بذلك مطية لأعداء الدين في تحقيق مخططاتهم ومآربهم في إلهاء الأمة وإفسادها ليضيعوها ويتمكنوا منها.

أسقطته الأمة التي تلهو وترقص على الجراح، وخاصة من يرقصونها على الرغم من أن الأمة تذبح ذبح النعاج، وتغتصب نساؤها، وييتم أطفالها، وتنتهك حرماتها، ويستهزأ بقيمها، وتذل وتهان.

أسقطه الشاب المسلم والفتاة المسلمة والكاتب والمفكر والأديب عندما تأثروا واستسلموا لتضليل وتأثير أعداء الدين، فانقادوا لما يحثونهم عليه ويخدعونهم به بأنه الحرية ومظهر الرقي، فكان بعضهم بذلك مطية لأعداء الدين لتحقيق ما يريدونه بالأمة.

أسقطه كل من ربوا الأمة على المعاصي وعلى التساهل في البعد عما لا يرضاه الشرع في الإعلام وغيره فقتلوها بذلك شر قتلة، إذ إن المجتمعات التي تعودت على عصيان الخالق العظيم في أمور

محرمة حسب ما يقتضيه دينها وعقيدتها يسهل عليها مخالفة أي نظام، وتصبح غير منضبطة وغير مكترثة وغير جادة في كثير من الأمور بما فيها الأمور المباشرة المؤدية إلى الرقي والتقدم والسلوك المطلوب في أمور دنياها.. والأمم التي لا تضبطها مقتضيات ولوازم عقيدتها لا يضبطها ضابط.

أسقطه التاجر المسلم المقتدر، والموهوب المتمكن، والذكي الحاذق؛ عندما لم يوجهوا ما حباهم الله به بفعالية لنصرة الدين والأمة.

أسقطته الأمة بشتى فئات أفرادها عندما تخلت عن البدء أو على الأقل التجهز الحق (بكل ما تحمله كلمة تجهز من خلفيات ومتطلبات تربوية ومادية) للجهاد الذي هو أحد أسس هذا الدين المهمة، وأحد أسباب هوان الأمة الرئيسة عندما تتركه في وقت مناسبة الحاجة والظروف له.. وما أشدها في وقتنا الحاضر.

أخر نصره العديد من الدعاة إلى الله عندما لم يحقق العديد منهم (فضلًا عن أفراد الأمة الآخرين) صدق الإخلاص والتجرد وسلامة أعمال القلوب وتحقيق قوتها والارتقاء بها لتنضبط وتفلح وتتم البركة في أمورهم وجهودهم، ويصلوا بالأمة إلى شاطئ النصر الذي لا نصل إليه إلا عندما نخلص ونتجرد من أهواء الدنيا وما يشوب الإخلاص.

نعم، لا شك أن لمكائد أعداء الدين دورًا، ولكن لم يكن مكرهم وكيدهم ليتحقق علينا لولا أننا قصرنا في تمسكنا بالحق، وفي أداء واجباتنا وفي تقوانا لله التي هي أساس نصرنا وعزنا ورد كيد الأعداء عنا، قال تعالى:

﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ (آل عمران: ١٢٠).

لقد أصبحت الأمة تعيش في حلقة مفرغة في هذا السقوط ما بين مسؤولين وحكام لا يربون الأمة على التمسك الحق بالدين وبين أفراد أثر عليهم ما يفعله هؤلاء المسؤولون والحكام، فأصبحوا لا يصلحون ولا يؤثرون إيجابًا على الحاكم، وهكذا تستمر هذه الحلقة المفرغة التي لا بد أن تكسر، ولكن بالحكمة والطريقة الصحيحة التي أساسها إصلاح الفرد حاكمًا كان أو محكومًا؛ فبصلاح أحدهما الصلاح الحق يصلح الآخر بإذن الله أو يزاح، إن كان ممن طمس الشيطان والهوى على بصيرته وأصبح من أتباع أعداء الدين فلم يتقبل الحق وما يصلح ويفلح حاله هو قبل حاله أمته.

ولا يعني ما ذكر قلة الخير في الأمة بل أمتنا أمة الخير العظيم الكامن في أبنائها على كافة مستوياتهم، والذي ينتظر تحركه لتغيير هذا الواقع المؤلم الذي الأهم فيه أنه لا يرضي رب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

وقال سبحانه ووعده الحق: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٥- ١٠٦).

أ. محمد محفوظ

مدير تحرير مجلة الكلمة

في تحرير معنى سقوط العالم الإسلامي.

ثمة جانبان أساسيان لمقولة أو مصطلح العالم الإسلامي وهما:

١- الجانب الثقافي والقيمي الذي يشكل نظام القيم والثقافة وأنماط الحياة في المجتمع.

٢- الجانب السياسي والذي يرتبط بشكل مباشر بالكيان السياسي الواحد للمسلمين، ولعلنا لا نحتاج إلى جهد كبير في القول: إنه إذا كان المقصود بسقوط العالم الإسلامي، هو السقوط الثقافي والقيمي فوقائع التاريخ والحاضر تناقض ذلك.. إذ إن المفارقات العجيبة والتي تحتاج إلى مزيد تأمل وتفكير أن انتشار الإسلام وثقافته ومبادئه في أمم الأرض، لم يتوقف حتى في أحلك الظروف وفي الحقب التي كان يعيش فيها المسلمون لحظات ضعفهم الرهيبة، فضعف المسلمين لم يمنع الإسلام من الانتشار.

وهذا يجعلنا نعتقد أن الجانب الثقافي والقيمي للمسلمين، لا يمكنه أن يسقط، وهو يعتمد في بقائه واستمراره على عوامل ربانية وإنسانية، أما الجانب الآخر والذي يعني سقوط الكيان السياسي الواحد للمسلمين، فإن وقائع التاريخ وأحداثه تجعلنا نعتقد أن هذا هو المقصود بمقولة سقوط العالم الإسلامي، ولكن الشيء الأساسي الذي ينبغي قوله في هذا السياق، إن سقوط الكيانية السياسية الواحدة للمسلمين كان بفعل عوامل وأسباب أساسية، لا يمكن إدراك معنى السقوط السياسي بدون التعرف العميق على هذه الأسباب والعوامل.

وفي تقديرنا أن عوامل السقوط السياسي هي:

١- **التخلف**: باعتباره الأرضية الصالحة لنمو أي مرض أو ميكروب في داخل المجتمع أو الأمة.

والتخلف: هو عبارة عن حالة من فقدان المناعة تجاه الكثير من الأمراض المختلفة والمتنوعة الوافدة من الآخر الحضاري أو المنبعثة من داخل الكيان الذاتي، كما أن حالة التخلف تفرز الكثير من حالات الاهتراء والخمول والتأخر وتأسيس عوامل وأسباب الانحطاط والتراجع والانهيار الحضاري، ويبقى مرض التخلف من الأخطار الجاثمة على صدر الأمة الإسلامية، ومصدرًا للكثير من المشاكل والأزمات التي تعتري مسيرة الأمة في الحياة.

٢- **الاستعمار**: لكونه قوة غاشمة تريد السيطرة على مقدرات المسلمين ونهبها والقضاء على كل مقومات الأمة الإسلامية؛ لذلك فالحركة

الاستعمارية بمؤسساتها ودولها ورجالها وأجهزتها المختلفة لا تألو جهدًا من أجل تكريس جميع أسباب وعوامل الانحطاط والتأخر في جسد الأمة الإسلامية، وللمستعمر أساليبه المتعددة والمتنوعة التي يستخدمها في الوصول إلى مآربه وأهدافه الشيطانية.

وتاريخ وواقع الأمة الإسلامية الحديث شاهد حقيقي على دور الحركة الاستعمارية بجميع أشكالها وصورها في تمزيق الأمة وتشتيت طاقاتها وقدراتها، والعمل بكل الإمكانات والطرق للقضاء على مكامن الحيوية والعطاء في الأمة الإسلامية.

٣- **الديكتاتورية:** بوصفها معضلة وداء يمنع أي خير في المجتمع من النمو والاتساع؛ بحيث إن حالة الاستبداد إذا سادت في المجتمع فإن القدرات الإبداعية تضمحل في المجتمع وجميع عمليات الابتكار والإبداع تتوقف؛ لأن سيف الإرهاب والاستبداد يقمع كل حالة فردية أو جماعية تنشد النهضة والتقدم والازدهار.. فصنو الديكتاتورية الخوف والقلق والإرهاب والضجر واللامبالاة وغياب الرفاهية والتقدم وانعدام الثقة، وما أشبه ذلك.

وقد كتب الشيخ عبد الرحمن الكواكبي قائلًا: ويقال بالإجمال: إن المستبد لا يخاف من العلوم كلها، بل من التي توسع العقول وتعرف الإنسان من هو الإنسان، وما هي حقوقه، وهل هو مغبون، وكيف الطلب، وكيف النوال، وكيف الحفظ؟. المستبد عاشق للخيانة، والعلماء عواذله، المستبد سارق ومخادع، والعلماء منبهون محذرون، وللمستبد أعمال وسوالح لا يفسدها إلا العلماء».

فهذا الثالوث الخطر هو المسئول الأساسي عن سقوط الكيانية السياسية الواحدة للمسلمين.. وقد أدى هذا الثالوث إلى تداعيات وآثار خطيرة أخرى من أهمها.

١- حالة التجزئة والتفتت وطغيان الحالة الفئوية والضيقة في المجتمعات الإسلامية التي أدت بدورها إلى بروز أخلاق العداوة والبغضاء والتناحر بدل أخلاق التعاون والتنافس الشريف وعلاقات حسن الجوار بين بلدان العالم الإسلامي.

٢- زرع الغدة السرطانية في جسد الأمة الإسلامية (الكيان الصهيوني)؛ إذ يشكل هذا الكيان في الاستراتيجية الغربية القاعدة المتقدمة من أجل استمرار الهيمنة الغربية واستنزاف طاقات الأمة وقدراتها.

وجماع القول: إن حالات الضعف والتراجع التي يعانيها العالم الإسلامي اليوم، هي من جراء عوامل وأسباب متعددة لا يمكن الانعتاق منها، والتحرر من تأثيراتها السلبية إلا بمقاومتها ومجابهتها وفق رؤية حضارية جديدة، تأخذ على عاتقها نبذ السطحية والجمود والخرافة واللامبالاة، وتؤسس لحقائق التعاون والوحدة في الجسم الإسلامي المعاصر.. وحدة النهوض الحضاري هو جسر عبورنا للتخلص من براثن التخلف والانحطاط ومخالب الاستعمار وسيئات الديكتاتورية والاستبداد.

أ. فائز صالح محمد جمال

لا يمكنني الإجابة عن سؤال بهذا الحجم، وأشك أن لغيري القدرة على إجابة شافية؛ لأن الأسباب كثيرة، والإجابة تحتاج نظرة تحليلية عميقة لأحوال الأمة قبل السقوط؛ وذلك من قبل العلماء والمفكرين في شتى المجالات.

ولكن.. مما نعيشه الآن هذه الأيام هناك أسباب ماثلة، تكرس هذا السقوط، وتحافظ عليه، بل وتسرّع عجلته، وتزيد الفجوة بينه أعني العالم الإسلامي وبين العالم المتقدم، أسرد منها خواطر سريعة:

١- بعض الأنظمة الحاكمة العاجزة حتى عن التعبير عن وجهة نظرها أو تبني تطلعات شعوبها.

٢- عدم تبني معظم الدول الإسلامية للفكر الاستراتيجي في التخطيط لمستقبل دولهم ولعالمهم الإسلامي برغم توافر كل عوامل النهضة من هذا السقوط المريع.

٣- عدم عناية معظم الدول الإسلامية بالمعرفة، والمعلومات، والتقنية.

٤- الجمود الذي لا يزال يحكم معظم المجتمعات المسلمة، والذي أعزوه إلى جمود أنظمتها الحاكمة.

٥- استمرار تحقيق أنظمة ومجموعات من أبناء الأمة لمبدأ (فرّق تسد) وهو من مبادئ الاستعمار الغربي وعلى الأخص البريطاني والعمل على بث الفرقة بين الجماعات والدول الإسلامية، وإفساح المجال لمزيد من الهيمنة على الأمة، وتعميق سقوطها.

٦- ترسيخ سلوك لعن الظلام بدلاً من إضاءة شمعة لدى الغالبية، وهو ما يتجلى في التعاطي مع ما تتعرض له الأمة من عدوان واستباحة، ومن أطرف ما سمعت في هذا السياق الحديث عن سعي إيران إلى تكوين هلال شيعي، وتعظيم الخطر الإيراني والشيعي وتساءلت: ما الذي يمنع أصحاب هذا التصريح وهذا التخويف عن تكوين قمر سني مثلاً؟!!

أولًا: العالم الإسلامي عبر التاريخ لا يسقط سقوط نهائيًّا، إنما يتعثر ثم يقوم بعد ذلك، وهذا عبر التاريخ واضح جدًّا.

ثانيًا: ليس هنالك شخص واحد، ولكن هناك مجموعة عوامل أدت إلى ذلك، بعضها عوامل داخلية وبعضها عوامل خارجية، والأخطر في ظني العوامل الداخلية.

أولها: الابتعاد عن العنصر الأساسي وهو الالتزام.

ثانيها: تهميش قيمة العلم حتى سبقنا غيرنا، والعلم عنصر رئيس من عناصر التقدم.

ثالثها: انشغال المسلمين بالدنيا والترف والبحث عن الملذات، مما أفقدهم الجدية اللازمة لصناعة الحضارات ونهوض الأمم كما حدث في الأندلس.

كذلك من الأسباب الرئيسة تمزق الأمة الإسلامية وعدم اتفاقها وافتقادها للوحدة وإن كانت شكلية؛ ككيان للأمة الإسلامية من مشارقها ومغاربها.

والأخير افتقاد هذه الأمة لقائد رباني متشرب لمنهج الله عز وجل عنده القوة والعزيمة، لاتخاذ قرارات استراتيجية تقود الأمة إلى عزتها ونهضتها.

العناصر الخارجية وهي تكالب الأمم أعداء هذه الأمة لا سيما اليهود وتنسيقهم مع النصارى للعمل لإضعاف هذه الأمة وتمزيقها واحتلال بلدانها ونهب ثرواتها وزراعة بعض المتآمرين من أبناء جلدتنا في بلداننا.

وفي الختام:

لا مانع من طرح هذا السؤال وتصحيح بعض المفاهيم لبعض المسلمين.

د. عبد اللّه آل عبد اللّه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

ثم أما بعد.

لا أرى شخصيًّا أي مانع من طرح مثل هذا السؤال اليوم، بل على العكس.. أرى أنه من الأهمية بمكان.

وضعنا نحن المسلمين اليوم وضع مأساوي؛ وذلك لابتعادنا عن ديننا وعن تطبيق شرائعه على الوجه الذي يرضاه الله عنا.

أسباب سقوط الخلافة الإسلامية كثيرة، ولقد أسهب المؤرخون في ذكرها، لكن من أهمها بل كان أهمها.. عدم وحدة الصف الإسلامي واختلاف الكلمة!! وكانت هذه والله الطامة الكبرى؛ والله المستعان..

فالتنافس على السلطة سبب رئيس في عدم وحدة الصف، وكذلك اللهو واللعب.. والافتتان بالدنيا سبب في عدم وحدة الصف، إبعاد أو

ابتعاد العلماء عن السلطان وفسح المجال للبطانة السيئة سبب.. والذنوب والمعاصي سبب، وهذا يشترك فيه الخليفة وبطانته وعامة المسلمين.

هذا، والله أسأل أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد.. يعز فيه أهل الطاعة.. ويذل فيه أهل المعصية.. ويؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر.. إنه سميع مجيب. والله أعلى وأعلم.. وصلى الله على حبيبنا محمد وآله وصحبه.

ذاكر الحبيل

كاتب وباحث اجتماعي سعودي

في سؤال الجمود، أم أزمة في سؤال الوجود..؟!!

التراكم اللفظي لخطاب نقد الذات في مجالنا الإسلامي، بات مرضيًا حد الأزمة المستفحلة التي بالكاد يسلم منها أحد، فمنذ حملة نابليون الشهيرة وصدمتنا بالحداثة الأوربية وسؤالنا الأثير يتوالد وإن بصيغ بديلة ولم يتبدل، لماذا تقدم الغرب وتخلفنا نحن المسلمين..؟ وذهبنا كل مذهب لرصد السبب والجواب على السؤال، تارة بتوصيف التاريخ الإسلامي الدموي والذي ظل الاحتراب فيه سيد حفظ السلطان والملك العضوض الذي استبد بالأمة وفرقها شيعًا كي يسود، وتارة بسبب توقف الاجتهاد والتجديد بعد مرحلة تكون المذاهب الرئيسة، وخفوت صوت العلم والإبداع بانخفاض سقف الحريات العامة، وتارة بالغزوات الأجنبية كالتتارية والصليبية، وعقدة المؤامرة وبروتوكولاتها المتربصة بنا، إلى حد دخولها في شرايين كل مجال حركتنا الخاصة والعامة، وغيرها من أسبابٍ أدمنا تكرارها بالتنكب والانتحاب على مآلنا التاريخي المؤسف عليه.

ألم يحن الوقت لكي نغاير هذا السؤال الأزمة..؟ ونقطع الصلة معه معرفيًّا بالتزامن الإيجابي والمتحرر من كل ماضوية تجترح باستمرار خطف زمننا الحاضر والمستقبل..؟ ونقول للعالم: نحن كائنات تعيش زمنها وبإمكانها أن تضيف وتتشارك في صنع العالم..؟ بل وتتخيل وتخطط من أجل عالم أجمل وأكمل؟

أيها الأحبة: نحن لسنا مسئولين عما جرى في تاريخنا من أزمات، وإن كنا مسئولين على مستوى دراستها وتحليل وقائعها؛ كي لا نساهم في تمديد تلك الأزمات إلى حاضرنا ومستقبلنا، كما أننا لسنا مسئولين عن تاريخية الفكر الذي أنتج مأزومًا وفق دواعي الاستبداد الديني والسياسي والاجتماعي آنذاك، وحتى عن الفكر الاجتهادي الشرعي الذي تساوق مع هذا الاستبداد أو ذاك، فضلًا عن أي فكر أنتج ضمن زمانه ومكانه التاريخي، بل نحن لسنا مسئولين حتى عن طبيعة ذلك الجدل النظري مذهبيًّا وفكريًّا، الذي لم يزدنا إلا نفورًا وقطيعة بعضنا عن البعض، فنحن نعيش ظرفنا التاريخي المعاصر المختلف ربما كليًّا عما عاشه أسلافنا، اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا وثقافيًّا وجغرافيًّا وديموغرافيًّا، واتصاليًّا في موجة الحضارة الأخيرة، أصبح تراكم الخبرة في معارفنا البشرية ثريًّا حد الكفاية في بعضها عن أن نجتر معارف ماضوية غير نافعة لديننا ودنيانا، كما أصبحنا جزءًا من العالم المفتوح الذي أصبح الكل يسمع ويرى الكل ويعرف ما لديه، وأصبح مفهوم الرأي العام العالمي، مكونًا لحظيًّا لظروف وأحداث ومعارف وسياسات واقتصاديات تستقر وتضطرب، جراء فعل التقنية الاتصالية الهائلة.

إن ظرفًا كونيًّا هكذا تركيبته، يفترض إعادة النظر في تركيب أسئلتنا الوجودية على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، وكذلك إعادة انبناءات الموازنة الحضارية والمعرفية بيننا وبين الأمم الأخرى على ضوء أحد طفافات الشراكة الكونية الشاملة، ورسم طبيعة العلاقة مع الآخر على ضوء مسوغات أكثر واقعية، مصاحبة لمبدأية مفاهيم جميلة وجليلة من تراثنا الإسلامي الأصيل كالتعارف والتسامح والتثاقف؛ وكذلك الأمر على صعيد ساحتنا الداخلية بيننا كمسلمين، الذي يجب أن نجهد في تنقيتها من الشوائب والعكورة، وتسخير كل طاقتنا في سبيل تذليل العقبات البينية وفق تراتب موضوعي، يأخذ بمبدأية التعاضد والرحمانية والتكافل، طريقًا لفتح أبواب الحرية، في كل شؤوننا، ورسم معالم وجودنا على نحو التقدم والازدهار، لا على رتم البكاء على الأطلال أو التغني بمقولة: «قال الإسلام قبل ذلك» أو كان لنا تاريخ حافل بالمآثر.

أ. لينا شاولي

كثيرًا ما نسمع هذا السؤال يطرح وأحيانًا يطرح نفسه في مواقف عدة يمر بها إسلامنا اليوم.

ولا نقول سوى: ما نمر به اليوم هو مصغر لما مر به الإسلام بالأمس، ولكن يفتقد روح الإيمان بين جنباته.

نحن المسلمين نراه من جانبنا انتكاسة، وليس سقوطًا والعياذ بالله، فالإسلام باق إلى يوم القيامة.. ولكن مهما مر على إسلامنا من محن ومؤامرات يبقى مرفوع الرأس شامخًا يصدع صداه على مدى العصور.

أستقطع من وقتكم دقائق معدودة لنرى ماذا يقول الكفار عن إسلامنا لنرى الواقع من خلال أعينهم:

يقول مارماديوك: (إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم بنفس السرعة التي نشروها بها سابقًا، إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حينما قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع أن يقف أمام حضارتهم[1].

---

(١) لم هذا الرعب من الإسلام، لسعيد جودت، ص (١٩ ٢٣).

ويقول الدكتور حسن عباس زكي: إنه قرأ لمؤلف فرنسي كتابًا جاء فيه: (لو أن العرب عرفوا قيمة الإسلام لحكموا العالم إلى قيام الساعة)؛ ويقول أحد قساوسة جنوب أفريقيا مخاطبًا مبعوث مجلة الاعتصام المنتدب لزيارة المركز الإسلامي هناك: (أنا قس من رجال الدين المسيحي أحمل اسمًا مسيحيًّا، وهذا الاسم لا يعنيكم ولن أقوله، ولكن أقول: بالرغم من أني دربت على المسيحية، وتعلمتها في جامعات بريطانيا، وأعددت لأكون راية للمسيحية، وداعية لها، إلا أني لم أشعر بأن المسيحية استطاعت أن تجيب على تساؤلاتي؛ لأنها مرتبكة في جسمي وقد فكرت في التخلص من المسيحية السوداء التي لا تعترف بآدميتنا، والتي جاءتنا بالإنجيل في يد وبالعبودية في اليد الأخرى، وجاءنا أدعياؤها بالإنجيل في يد وبزجاجة الخمر في اليد الأخرى)، ثم يضيف قائلًا: «لقد رأيتكم تصلون، فإذا بالأبيض بجانب الأسود، والغني بجانب الفقير، والمتعلم بجانب الجاهل، لهذا أقول: إن الأفريقي ليس بحاجة إلى المسيحية، إنه في حاجة إلى هذا الدين العظيم» وبعد أن اغرورقت عيناه بالدموع قال: «لماذا حجبتم عنا هذا الدين؟ أنيروا لنا الطريق فإن مبادئ هذا الدين هي التي يمكن أن تنقذ العالم مما هو مقبل عليه من فوضى ودمار».

(محاسن الإسلام) للدكتورة: لورا فينشيا فاليري..

ويقول كارليل الإنكليزي في كتابه (الأبطال).

من العار أن يصغي الإنسان المتدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين بأن دين الإسلام دين كذب وأن محمدًا لم يكن على حق، لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجًا منيرًا أربعة عشر قرنًا من الزمن لملايين كثيرة

من الناس فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين، وماتت أكذوبة كاذب أو خديعة مخادع؟! لو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفًا، وعبثًا.. وكان الأجدر بها ألا توجد.

إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتًا من الطوب لجهله بخصائص البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد فما بالك بالذي يبني بيتًا دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه مئات الملايين من الناس.

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمدًا كاذبًا متصنعًا متذرعًا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع.. فما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع.. ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(إنسانية الإسلام) لأحد المستشرقين..

هذه هي كلماتهم عنا وعن إسلامنا، وما يدل هذا إلا على أنهم يعلمون ما هو الإسلام، ومن هم المسلمون.

وسيبقى هذا الحال إلى قيام الساعة.

أسأل الله تعالى أن تكون هذه بداية صحوة إسلامية لتعود أمة محمد ﷺ إلى سابق عهدها وليعلم كل عدو ومكيد أن أمة محمد ﷺ ما زالت متمسكة بسنتها التي طالما تمسكت بها ١٤٠٠ عام.

نسأل الله أن يعز أمتنا فلا عزة لنا إلا بالإسلام.

أ. حنين السديري

سقط العالم الإسلامي بسبب المسلمين

١- ببعدنا عن ربنا وعن العقيدة الصحيحة.. خصوصًا طريقة تعليم العقيدة؛ فالمناهج تركز على التحذير من الفرق الضالة والمنحرفة وتسوق الأدلة والحجج، والطلبة لا يفهمون المقصود من العقيدة أصلًا.. فمثلًا دروس الأسماء والصفات تعطى بطريقة وكأننا في حرب المرجئة، والرد عليهم، المعطلة وبيان باطلهم.. ونحو ذلك مما يفقد لذة العقيدة وصفاءها.. فهذا من عدم فقه الأولويات في التعليم، فالمسلم إذا عرف معاني الأسماء والصفات وكان هم المعلم إيصالها إلى قلب الطالب لن نحتاج إلى جهد كبير لبيان المذاهب والفرق.

٢- جهلنا وعدم تطبيقنا لديننا بطريقة صحيحة، فلا نعرف عن الدين إلا أمورًا بسيطة جدًّا، وقد تكون غير أساسية.

٣- عدم استخدام وسائل متجددة في الدعوة، حتى مع تعدد القنوات الفضائية ولله الحمد إلا أنها تميل إلى الإذاعة في شكل محاضرات على الهواء.. فهذه البرامج رغم قيمتها إلا أنها تجذب وتؤثر في فئة معينة، ولم نسمع إلى الآن عن مسلسل أو إنتاج إسلامي هادف وعمل يجذب

الجميع أو يجذب الصغار بجميع أنواعهم، فمن يتابع المخرجين والمنتجين ينبهر بإتقانهم وجلوسهم فترات طويلة حتى يخرجوا عملًا تصل فكرته إلى كل العالم، ويقولون: الإعلام هو المطرقة التي تشكل العالم من خلال القصص والإخراج المبدع وتوصيل الفكرة بطريقة غير مباشرة.

٤- أسباب متعددة ذكرها الكثير من العلماء في كتبهم وجزاكم الله خيرًا.

الشيخ فيصل العوامي الدمام

مشرف عام مجلة القرآن نور

العقل والروح: من هنا نبدأ ربما لا أؤيد صيغة السؤال المقترح مع ما فيه من ثمار وفوائد، بسبب ما قد يبعثه من إحباط في نفس الإنسان المسلم، فالتركيز على الهزيمة باستمرار يشعره بالدونية والضعف، وكان ينبغي لنا أن نلتفت لما جاء في سورة آل عمران، ففي حين خرج المسلمون منهزمين في وقعة أحد، إلا أن الآية المباركة نبهتهم بأنهم أفضل أمة على وجه الأرض بما يحملون من قيم وإيمان، حيث قال الحق جل شأنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠).

حتى لا تسيطر عليهم أمراض الهزيمة وحتى يدركوا أسباب التفوق.

فالأولى أن يكون السؤال عن عوامل التفوق لا عن أسباب الهزيمة، ولهذا فإنني أعتقد بأن الهزيمة جاءت نتيجة طبيعية للتراجع على المستوى الأول.

والمستوى الأول يتلخص في إحياء العقل (مركز عملية التفكير وصناعة المفاهيم وتحليل المعاني) والروح (وجدان الإنسان الداخلي وضميره المستتر)، وهما قطبا حركة الإنسان، والتزاوج بينهما يولد (البصيرة)، ومن هنا بدأت مسيرة الإحياء في وسط المجتمع العربي، الذي كان يعيش أشد حالات التخلف والضعف، وقاده النبي المصطفى محمد ﷺ في مسيرة انتهت ببناء حضارة عملاقة:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة: ٢).

مشكلتنا في عقولنا وأرواحنا، فعقولنا علاها الغبار وتوقفت عن الإبداع العلمي والتفكير المنهجي بسبب تضخيم ما أنتجه السابقون، فتبلّدنا علميًّا، وأرواحنا فقدت انطلاقاتها وإيمانها برسالتها، فابتلينا بضعف الهمة وقلة اليقين، وكانت النتيجة تراجعًا تدريجيًّا على مستوى الحياة الخارجية، وشيوع مظاهر التمزق، وأما الإرادة السياسية الداخلية والمؤامرات الخارجية فبسبب الانهيار العقلي والروحي وجدت لها أرضًا خصبة لتمرير خططها، وبالتالي لو استطعنا أن نعيد الحياة للعقل والروح لتغيرنا نحو الأفضل.

فالروح ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ والعقل ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ هما الجوهر في معادلة التقدم والتأخر، والانتصار والهزيمة، وما عداهما قشور تتأثر بطبيعة التغيرات الطارئة على الجوهر.. انتهى.

د. خالد محمد الغيث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد فإن مناقشة مثل هذه القضايا أيام الفاروق رضي الله عنه تتطلب التشاور مع أشياخ بدر رضوان الله عليهم؛ لكونها من القضايا المصيرية في تاريخ الأمة، ولكن من باب إبراء الذمة والنصح للأمة أقول: إن حالة الوهن والضعف وليس السقوط التي أصابت الأمة الإسلامية وجعلتها تتخلى عن قيادة البشرية تعود إلى مجموعة من الأسباب الخارجية، والداخلية، لكن الحديث سينحصر في الأسباب الداخلية؛ لأنها هي التي مهدت الطريق للأسباب الخارجية، والأسباب الداخلية كثيرة ولكن أبرزها ما يلي:

أولًا: إهمال الأمة التربية الإيمانية، مع أنها كانت الشغل الشاغل لرسول الله ﷺ، مع أصحابه رضوان الله عليهم.

ثانيًا: ظهور الجفوة في العلاقة بين العلماء الربانيين والحكام، والتي كانت تصل إلى حد القطيعة في بعض الأحيان.

ثالثًا: إهمال السنن الربانية في عدة مجالات، مثل: النصر والتمكين وعمارة الأرض، وهي سنن لا تحابي أحدًا. هذا ومن رحمة الله بالناس أنه لا يأخذهم بذنوبهم ابتداءً بل ينذرهم المرة تلو المرة لعلهم يرجعون، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم: ٤١) ومن تلك النذر الربانية ما أجراه الله سبحانه وتعالى على الأمة المسلمة قبيل الغزو المغولي وفي أثناء الغزو المغولي؛ تنبيهًا للأمة بسبب ابتعادها عن الله وتلبسها بالمعاصي، وأمنها من عقوبة الله سبحانه وتعالى وفيما يلي ثبت ببعض تلك النذر.

١- ما وقع في سنة (سبع وتسعين وخمسمائة) من زلازل عظيمة في الشام ومصر، وفي ذلك يقول المؤرخ سبط ابن الجوزي مبينًا علة ذلك: (وما ظلم الله عباده بإهلاك النسل والتناسل، ولكنهم تعاموا عن الحق وتمادوا في الباطل وأضاعوا الصلوات وعكفوا على الشهوات والشواغل، وارتكبوا الفجور، وشربوا الخمور، وأكلوا الربا والرشا، وأموال اليتامى).

٢- ما وقع في سنة (اثنتين وخمسين وستمائة) من خروج نار عظيمة بأرض عدن، وفي ذلك يقول المؤرخ ابن دقماق، (وفيها ظهرت نار بأرض عدن في بعض جبالها، بحيث يطير بها شرار إلى البحر في الليل، ويصعد منها دخان بالنهار، فما شكوا أنها النار التي ذكرها النبي ﷺ أنها تظهر في آخر الزمان، فتاب الناس وأقلعوا عما عليه من المظالم والمفاسد).

٣- ما وقع في سنة (أربع وخمسين وستمائة) من خروج النار العظيمة بأرض الحجاز قرب المدينة النبوية، وفي ذلك يقول المؤرخ أبو شامة: (ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة إلى مسجد نبيهم ﷺ، مستغفرين تائبين إلى ربهم، وقد حصل بطريق هذه النار إقلاع عن المعاصي والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات، وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة).

وفي رسالة بعث بها قاضي المدينة إلى بعض أصحابه يخبره فيها عن خبر النار، أوردها المؤرخ أبو شامة، وفيما يلي مقتطفات منها قال القاضي: (وأشفقنا منها وخفنا خوفًا عظيمًا وطلعت إلى الأمير، وكلمته وقلت له: قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى الله فأعتق كل مماليكه ورد على جماعة أموالهم وقال أيضًا: (وبالله يا أخي إن عيشتنا اليوم مكدرة، والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقي تسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب).

٤- وفي سنة (اثنتين وسبعمائة) وبعد أن نصر الله سبحانه وتعالى المسلمين في معركة مرج الصفر ضد المغول في الشام، قابل المسلمون ذلك النصر بالعودة إلى ما كانوا عليه من الذنوب والمعاصي وأصناف من الفرح غير المشروع، عند عودة الجيش إلى القاهرة.

وفي ذلك يقول المقريزي: (وفيها كانت الزلزلة العظيمة، وذلك أن حصل بالقاهرة ومصر في مدة نصب القلاع والزينة من الفساد في الحريم وشرب الخمور ما لا يمكن وصفه، من خامس شهر رمضان إلى أن قلعت في أواخر شوال.

فلما كان يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجة عند صلاة الصبح اهتزت الأرض كلها وسمع للحيطان قعقعة وللسقوف أصوات شديدة، وصار الماشي يميل والراكب يسقط حتى تخيل الناس أن السماء أطبقت على الأرض، فخرجوا في الطرقات رجالاً ونساءً، قد أعجلهم الخوف والفزع عن ستر النساء وجوههن، واشتد الصراخ وعظم الضجيج والعويل، وتساقطت الدور، ووضع كثير من النساء الحوامل ما في بطونهن.

وبات الناس ليلة الجمعة بالجوامع والمساجد، يدعون الله إلى وقت صلاة الجمعة، فكان في ذلك لطف من الله بعباده؛ فإنهم رجعوا عن بعض ما كانوا عليه من اللهو والفساد أيام الزينة.

وفي الختام، أرجو الله أن أكون وإياكم ممن يتفكر في أسباب النذر الربانية في كل زمان ومكان، حتى نكون ممن خاطبهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق: ٣٧).

د. محمود بن محمد المختار الشنقيطي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على النبي الكريم وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه القويم،،،،

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

هذا السؤال الحقيقة من التوفيق بمكان، حيث يختصر التشخيص والتقويم والتاريخ ويختزل دور الأمة كلها في النهضة من جديد.

وكل ما ذكره الإخوة حقيقة من أسباب سقوط الأمة، وعكسه من أسباب نهوضها، لكن الاشتغال بالكليات في مثل هذه الإجابات المنهجية، هو الأسد والأنجع والأنفع.

وفي نظري... ومن خلال التأمل في واقع الأمة، نجد أن العامة من المسلمين لم يقصّروا يوما حين تُستنهَض هممهم، وحين يستنفروا ؛ ولا أدل على ذلك تحركهم حين طلب منهم ذلك في قضايا الأمة مثل:

أفغانستان، البوسنة، رسوم المستهزئين الكاريكاتيرية، سفينة كسر الحصار عن غزة..الخ.

الشعوب المسلمة أدت ما عليها، لكن المشكلة في نظري التي أدت إلى سقوط الأمة كلها

والله أعلم تكمن في فقدنا (للقادة للمجددين) الملهَمين بفتح الهاء والملهِمين بكسر الهاء غيرهم.

أزمتنا اليوم أزمة قادة أزمة مجددين، قادة مجددون في جميع المجالات من طراز الصديق أبي بكر، رضي الله عنه، الذي حين احتاجت الأمة إليه، قالها صراحة: (أينقص الدين وأنا حي؟؟).

القادة المجددون للدين، لا المبددون له.. يقول الرسول ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، والمجدد حسب مجاله وتخصصه وميدانه.

نعم نحتاج قادة مجددون، نعم قادة مجددون،،، أزمتنا أزمة (قادة مجددون) يا ناس، المجددون أيها الإخوة في تأريخ الأمة لو تتبعناهم لوجدناهم أفرادا، نعم أفراد، يتضلعون بهذه المهمة مهمة نهضة أمة في عصر ما، ويتحملون أعباء النهوض من السقوط أو التخلف أو الانحطاط وأخذ الدور القيادي من جديد، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ (من يجدد لها دينها).

القادة في جميع المجالات:

الدعوة وتأصيلها، والعلم وتخليصه من البدع والخرافات والعادات غير الشرعية، والآراء الشاذة، وتبليغ العلم والتربية عليه لا مجرد تلقيه وأخذه كأنه مجرد (ثقافة) لا روح فيها ولا أثر للانتماء له.

القائد الرباني في العبادة والتأله والمحراب، فيقود الجموع والناس بسيرته واقتدائهم به إلى محراب العبادة والمساجد، ويذكرهم بالله منظره وعبادته ويدلهم ويعرفهم سمته ودله ومنطقه ومواقفه التعبدية، تذكر الناس بحقه سبحانه وتعالى.

القائد المجدد... في المستوى العلمي الأكاديمي البحثي المؤصل، الذي يعطى المعلومة المبدعة المحلقة في سماء الحقيقة الناصعة، فيغزوا بها العقول، ويفحم بها الخصوم، ويقنع بها المتشككين، ويرد بها الملحدين.

القائد المجدد.. في الإعلام الإسلامي الجامع بين المعاصرة والتقنية في الأسلوب والشكل، وبين الأصالة والتميز في المضمون والمحتوى (الوحي كتابا وسنة) والاستقلالية المستمدة من استقلالية الدين نفسه، لا استنساخ وتقليد ومحاكاة البرامج المطروحة من قناة اللهو واللعب والتغريب والتخريب (فيأسلمونها) شكلا ويسقونها الناس!!

القائد المجدد.. في مجال الفقه وصناعة الفقيه المتمكن الذي يجمع بين الورع والفقه ملكة ودربة والتحرر من ضغط الواقع وتداعياته الخارجية، المشارك الملامس لواقع الناس، المتمكن من الإطلاع على ما كتب حديثا في تخصص المعاملات والعلاقات الدولية والنوازل الفقهية..الخ.

القائد المجدد.. في الجهاد والسياسة وملابساتها، ونظرياتها ودبلوماسياتها، والعالم والدول ومنظماتها، المحنك المجرب في جر الأمة إلى بر الأمان وتجنيبها الحروب والمواجهات غير المتكافئة مع أعدائها.

القائد المجدد.. في التكافل الاجتماعي، وسد حاجة فقرائنا وضعفائنا وأيتامنا ومحتاجينا بطريقة حضارية تحولهم إلى منتجين ومنفقين وأصحاب عطاء ومساهمة في نهضة الأمة وقيامها.

القائد المجدد.. في إعمار الأرض بمتطلبات الاستخلاف الدنيوي (الصناعات والحرف والفنون) المستمدة من الشريعة الحاكمة المنظمة للحياة.

وهكذا القائد المجدد.. في جميع المجالات حسب تخصصه وأنى وجد وأين وجد: في المجال الكشفي، الرياضي، الفني، العلوم الرياضية الطبيعية والهندسة، والحاسوب، والنت، والتقنية، والصناعة، والتجارة..الخ.

ويوم نوجد نحن المجتمع المسلم (القائد المجدد) كما قال تعالى: (ولتصنع على عيني)، ونجهزه ونصنعه ببرامج خاصة وعامة ودورات وتحشد جهود واستراتيجيات حديثة لتهيئة قادة مجددين على تأصيل علمي وقوة إيمانية وتميز في الشخصية واستنساخ للتجربة النبوية الفريدة يوم يوجد.. ولا يهم متي، المهم البدء في صناعته وتخريجه، ستلتف الأمة حوله، وتفديه بمهجها وأرواحها، وتضع بين يديه جميع إمكاناتها ومقدراتها، ويجدها جنودا تصدر عن رأيه، وتنصاع لربانيته، وتتفانى في تحقيق أهدافه المعلنة الواضحة لأنها تؤمن بها، ولا يهزم الإيمان شيء. جعلنا الله وإياكم ربانيين حيث كانت تخصصاتنا، وأرانا عز هذا الدين قبل أن نموت، ووحد الأمة على الوحي والمنهج المحمدي.. وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وفي الختام

لن نكتب خاتمة هذا البحث بل سنترك لك أيها القارئ كتابة الخاتمة التي هي في الحقيقة بداية وليست خاتمة.

إن أجدادكم كتبوا البداية بدمائهم فاكتبوها أنتم بأعمالكم للنهوض بأمتكم، وما تسجله أقلامكم من رؤى ابعثوها لنا عن طريق الموقع؛ لأن هذا ليس بحثنا وحدنا وإنما هو أيضًا بحثكم، وسيتولى الموقع شرف طباعته مستقبلًا بإذن الله.

مشرف الموقع

www.islam2up.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٠)